عشرون قصة من بطولات الصحابة

بقلم
محمد عبد المنعم أبو نور الدين

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com

رقم الإيداع	٢٠١٣/١٤٩٨٩
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7843-7

١٠٥ / ٢٠١٣ / ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

تصميم الغلاف: غادة نبيل

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg
http://gate.dar-elmarf.com

دار مجمع الأنوار

المكان صحراء واسعة على مد البصر.. تلال ووديان من الرمال لا ترى فيها شيئا يأخذ بصرك.. سوى هذا البيت الوحيد المنفرد المصنوع من الطوب اللبن والحجارة المرصوصة، يعلو سقفه بعض الجريد وجذوع النخل اليابسة.

البيت يوجد أسفل جبل صخرى أملس يدعى جبل الصفا.. وهو وحده قائم فى هذه البرية القاسية لا يجاور أحياء ولا يحتمى بقرية يأنس بها.. فلا جار له سوى هذا الجبل العتيق.

وقد أضفى عليه هذا التفرد مهابة وجلالا.. وكأنه صومعة لرهبان قد اعتزلوا الخلق وضجيجهم، وهجروا متع الدنيا الفانية.

وراحوا يتعبدون لله الواحد.. ويتذوقون تلك المتع الروحية التى لا يعرف مذاقها إلا أهل الإيمان.

اسم الجبل يوحى للسامع بوميض من النور الذى يهجم على القلب فى طرفة عين فيملأه بالصفاء والهدوء.. جبل (الصفا).

ما أن تلمح هذا البيت المتفرد حتى تشعر بشىء غامض يجذبك نحوه.

شىء ما يقود روحك بزمام من الشوق والفضول لتعرف ما سر هذا البيت الفقير الذى يعلوه نور وبهاء لا تجده فى أفخم القصور.. من الذى يسكنه.. على أى شىء يحتوى هذا البيت الموجود فى هذا القفر الموحش.

ها أنت تقترب منه شيئا فشيئا.. تتحسس الخطا وتتلطف فى المسير حتى لا تعكر صفو هذا الهدوء الذى يخيم على المكان..

ما أن تقترب من هذا البيت إلا وتسمع همهمات تنبعث من داخله كدوى النحل.. تراتيل وتسابيح غير مفهومة.. بكاء وأنين.. أصوات حزينة تترنم وتتغنى بكلمات غريبة على الآذان فى ذاك الوقت.

إنها كلمات لا تشبه شعر الشعراء ولا أسفار الأحبار.. لكنها مقدسة.. نعم مقدسة فى أعلى درجات القداسة.. يشهد لذلك هذا الجلال الذى يسطو على الأرواح عند سماعها.. اقترب أكثر عساك تسمع بوضوح.

ها أنت تسمع منهم شيئا.. ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ الرحمن: ١-٤

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ الفجر: ٢٣-٣٠

شىء عجيب.. أن يخبرك أحد وقتها أن تلك الكلمات التى تتلى فى هذا المكان القفر المهجور سوف تخرج من هذه الدار البسيطة لتطير فى كل الآفاق وتغير وجه العالم.. وأن هذه الدار سوف تكون مجمع الأنوار وملتقى ساكنى الأرض بساكنى السماء.. وسوف يذكرها التاريخ وتتناقلها الروايات.. إنها كلمات القرآن، وإنها دار الأرقم.

بداخلها عدد قليل من المؤمنين المستضعفين الذين يخفون صلاتهم وتراتيلهم خوفا من بطش العدو.. أجسادهم نحيلة مشدودة غير مترهلة.. ثيابهم من الصوف ووبر الإبل.

وجوههم شاحبة تعرف فيها هيبة الخشوع وصفرة السهر.. لكنها مضيئة مثل مصابيح الزيتون الصافية.. فى عيونهم دمعة غزيرة تنهال ساخنة كلهيب الشجن.

على محياهم بسمة نضرة تخفى ما يموج بداخلهم من أحزان ومخاوف.

تسمع صوتا عذبا جميلا مملوءا سكينة يبشرهم قائلا.

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار.. ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل.. عزا يعز الله به الإسلام وأهله..وذلا يذل الله به الكفر»[1].

«بشر هذه الأمة بالسناء والنصر والرفعة فى الدين والتمكين»[2].

«إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها»[3].

ذلك ما قاله النبى ﷺ للناس وهو وقتها فى أشد الضيقات والاضطهاد.. حتى إنه كان يتخفى وهو معهم فى دار الأرقم..

وذلك لأنه لما رأت قريش مشهد النبى محمد ﷺ وهو يصلى ويسجد بجبينه المتوقد نورا عند الكعبة والناس تلتف حوله ينظرون إليه.. خشيت قريش أن مشهده ذلك أصبح يأسر قلوب الناس. ويكفى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند وأخرجه ابن حبّان فى صحيحه، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، وابنه عبد الله فى زوائده، وابن حبّان فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان مولى رسول الله.

لدعوتهم للإيمان به مع ما كان يتلوه من قرآن يجذب الأرواح والعقول. فنهته عن ذلك وضايقته فيه. ولولا حماية عمه أبى طالب لكانت قريش منعته من الوجود عند الكعبة مطلقا لو تقدر على ذلك.

فكان النبى ﷺ يأخذ أصحابه ويذهب بهم إلى بعض الشعاب البعيدة ليستخفى بصلاته من المشركين. فكان الصحابة إذا أرادوا أن يلتقوا يذهبون سرا إلى بطون الأودية والشعاب.

فبينما هم كذلك فى مرة يصلون ويقرأون القرآن. رآهم أحد كفار قريش فجمع عليهم جمع من الوثنيين فطردوهم وقذفوهم بالحجارة وكادوا يقتلونهم.. فلم يجدوا مكانا يقيمون فيه صلاتهم وعبادتهم.

وكان من بينهم صحابى اسمه الأرقم بن أبى الأرقم.كانت له دار أسفل جبل الصفا فى مكان آمن وبعيد عن عيون المشركين..فدعا النبى ﷺ وأصحابه ليلتقوا فى داره.. فصاروا يدخلون دار الأرقم متخفين.. وهناك كانوا يجتمعون بالنبى محمد ﷺ ليسمعوا منه تعاليمه والوحى المنزل عليه.

فكانت دار الأرقم مجمع الأنوار ومشرق الشمس التى أضاءت صدور الصحابة.. وفيها فتحت عيونهم بنور كلماته وتعاليمه التى صنعت من هؤلاء الأعراب البسطاء أبطالا فتحوا العالم.. وصاغت من نفوسهم الفطرية مُثلا عليا.. وجعلت من حياة كل واحد منهم قصة عظيمة.

بل وسطرت فى كل مواقف حياتهم ملاحم وفتوحات..حتى أصبحوا على مر الزمن شجرة عظيمة شامخة فى صحراء التيه البشرى.. شجرة لها نور ونار.. سلم وحرب.. رحمة وشدة.. يلوح نورها للسائرين من بعيد.. فتعال معى ياصاحبى الآن نذهب سويا إلى هذه الشجرة المباركة عسانا نأتى منها بقبس نور أو نجد على النار هدى.

القصة الأولى

الرؤيا المنامية التى كانت سببا فى إسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه

كان خالد بن سعيد شابا من أعز شباب العرب حسبا ومنزلة.. فأبوه شيخ ثرى من سادات قومه.. يوفر له كل وسائل المعيشة المترفة ليكون خلفا له فى منزلته من بين إخوته.. ويجمع كل ما طالته يده من أموال ليجعل أبناءه من طبقة الأثرياء المدللين.

فكان خالد يحيا حياة رتيبة رخوة لا ينقصه فيها شيء من متع الدنيا.. غير أن ما كان يعكر صفوه هو ما يراه من أبيه فى معاملته للفقراء والعبيد وبطشه بهم وظلمه لهم من أجل مصلحته ونفوذه.. كانت نفسه تضيق لأجل ذلك ويبيت ليله مسهدا متألما وكلما تذكر مشهد الدم وهو ينزف من أقدام العبيد والعرق يسيل من جباههم وهم يئنون من ضربات سياط أبيه على ظهورهم حتى يعملوا ويكدحوا بمزيد من العمل، كى يأتيه بأشهى الطعام والشراب فيشعر خالد بأنه يتغذى على دمائهم وعرقهم.

ولكن كيف يتصرف وهذا طبع أبيه.. وإخوته كذلك قد ورثوا هذا الطبع القاسى.. ولم يكن خالد قد قابل النبى ﷺ قبل ذلك ولا دار بخلده أنه فى يوم من الأيام سوف يجتمع بأعظم رجل أظلته قبة السما وأنه سوف يصبح من أخلص أصحابه.

حتى أتى هذا اليوم الذى لاحظته فيه عين العناية، واختارته قسمة الوعد المكتوب.. فرأى خالد فى منامه رؤيا أفزعته جدا..فقد رأى أن هناك نارا عظيمة ملتهبة تحيط به ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى أنه على شفيرها وأن أباه يريد أن يدفعه فيها.

وبينما هو كذلك يكاد يسقط فى هذه النار إذا به يرى النبى ﷺ يظهر له آخذا بردائه يمنعه من الوقوع فيها، وهو يجذبه بيمينه المباركة فيدفعه بعيدا عن اللهب والنيران.

فقام خالد من نومه مفزوعا وقد تفكر فى هذه الرؤيا وتعجب منها لأنه لم تكن له مخالطة بالنبى ﷺ.. فظل مدهوشا ترعبه منظر النار التى رآها كلما تمثلت له فى مخيلته.. وتذيبه شوقا طلعة النبى المشرقة كلما تذكره وهو ينقذه من النار بكل عطف وشفقة.. ولكن ما لهذا الرجل يخاف على أكثر من أبى؟. ومن يكون حتى يخترق عالم نومى فيسبى روحى بمحبته وشوقى إليه؟. ترى هل يكون حديث نفس أم أنها رسالة من عالم الغيب البعيد؟.

وهكذا طرقت محبة النبى ﷺ أبواب قلب خالد وانشغل عقله به، وأصبحت روحه أسيرة لدى النبى ﷺ .رغم أنه لم يقابله يوما ولم يسمع منه أى تعاليم.. ومرت الأيام وجرت أحداث الحياة بخالد ثم حدث بعد ذلك أنه رأى رؤيا أخرى.. فرأى كأنه غشيت مكة ظلمة شديدة حتى لا يبصر امرؤ كفه.

فبينما هو كذلك إذ خرج نور ساطع من بئر زمزم ثم علا فى السماء فأضاء البيت. ثم أصاب النور مكة كلها.. ثم تحول ذلك النور إلى أرض يثرب فأضاءها كلها حتى إنه لينظر إلى البسر فى النخل.

واستيقظ خالد وهو يشعر أن النور يملأ عينيه ومشاهد هذه الرؤيا منطبعة فى فؤاده.. فقال: أحلف أن هذه الرؤيا حق.. ثم نهض من فراشه وقص رؤيته على أخيه عمرو وكان سديد الرأى.. فلما استمع إلى رؤياه قال له: يا أخى إن هذا الأمر يكون فى بنى عبد المطلب ألا ترى أنه خرج من حفر أبيهم زمزم.

فقال خالد: لابد أن أسافر إلى ديار بنى عبد المطلب فأرى ما الحدث.

وهنا عزم خالد على الرحلة التى ستغير كل حياته وتحوله من شاب عادى رخو لم يكن لنسمع عنه فى يوم من الأيام إلى بطل مجاهد نروى قصته لكل جيل.

أعد خالد راحلته وللم حاجاته مسرعا يتهيأ للمسير.. كان يسير ولكنه فى الحقيقة كان يُسَارُ به، ويُسَاقُ نحو هدايته ومطلع سعادته.. ليرحل إلى شمس الإشراق التى اجتذبت روحه جذبا لا يقدر على مقاومته.

فلما وصل خالد إلى ديار بنى هاشم كان أول من قابله هو أبو بكر فلما علم أنه مقرب من النبى ﷺ قص عليه خالد كل الرؤى التى رآها وأنفاسه تلهج حرارة وصدقا.. فقال له أبو بكر: أريد بك خيرا يا خالد.. هذا رسول الله قد ظهر فاتبعه.

ومضى خالد إلى مقابلة النبى ﷺ يتخفى سرا.. يقوده الصحابة عن بعد حتى لا يفطن لهم المشركون.. فراح يمشى خلف الدليل فى حذر إلى أن خرج من أزقة القرية ودخل البادية متجها نحو جبل الصفا.

كان فى كل خطوة يخطوها يرفع قدما من ماضى الجاهلية ويضع قدما فى مستقبل الإيمان.. يرتقى بكل خطوة درجة فى منازل الهداية

يشم عبير النبى ﷺ فى نسمات الهواء المحيط به كلما اقترب من موضعه.. حتى دخل عليه فى دار الأرقم وجلس بين يديه يتملى من طلعته الشريفة ويقص عليه ما رأى فى منامه.. فقال له النبى ﷺ «ياخالد أنا ذلك النور. وأنا رسول الله»[1].

فقال خالد: يا محمد ﷺ إلام تدعو؟.

فقال النبى ﷺ.. «أدعو الى الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله.. وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع»[2].

فدمعت عينا خالد ونطق الشهادتين وأسلم بين يدى النبى ﷺ.. ورجع خالد إلى دياره وقد ترك قلبه هناك فى دار الأرقم معلقا بالله ورسوله.

وعلم أبو خالد بإسلامه ووصلته أخباره وما صار إليه فما أن رآه حتى قام إليه غاضبا فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه.. فسالت الدماء من جبهته وغطت وجهه.. ثم قال له أبوه منكرا: أتبعت محمد وأنت ترى خلافه لقومه وماجاء به من عيب آلهتهم.وعيب من مضى من أبائهم..؟ فأجابه خالد: نعم والله اتبعته على ماجاء به.

فتغيظ أبوه وقال: اذهب عنى حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت ولا يصلك منى درهما.. فقال له خالد: إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به.

---

(١) الحافظ ابن عساكر الدمشقى فى تاريخ دمشق.

(٢) ابن عبد البر فى الاستيعاب.

فطرده أبوه من البيت وقال لأبنائه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به عذابا.

فانصرف خالد راجعا إلى النبى ﷺ فكان يلازمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة.

وهكذا ترك خالد حياة الترف والراحة التى كان يحياها ليعيش شاردا بين جبال مكة هائما فى الوديان والبرارى.. يبيت ليله فى دار الأرقم.

يدخل إليه كلما حل الظلام ليجتمع بالنور الأكرم فيسقى روحه المتعطشة من هذا النعيم النبوى.. كانت أسعد لحظات عمره عندما كان يجلس فى الدار مع الصحابة ينتظرون قدوم النبى ﷺ بشوق لا يعرفه إلا من يكابده.

حتى يدخل عليهم النبى ﷺ فيجلسون بين يديه وينظرون إلى وجهه ويستمعون إلى كلامه.. فحينا يضحكون طربا وحينا يبكون خشوعا ووجدا.. كانت التمرات وكسرات الخبز التى يتناولها مع أصحابه فى حضور النبى ﷺ أحلى عنده من الدنيا وما فيها.. لم يكن يعرف هذا المذاق الحلو عندما كان يأكل أشهى وأجود الطعام الذى كان يقدمه له أبوه.. ولكنها حلاوة الإيمان التى تضفى على كل شىء مذاقا روحيا جميلا.

ما أن يشرق الصبح وتلمع خيوط الفجر فى السماء حتى يتفرقوا كل إلى وجهته ويتسللوا تسلل القطا كى لا تشعر بهم أعين الرقباء.

فينطلق خالد إلى الشعاب والوديان البعيدة يصلى ويسجد على الثرى لديان السماوات والأرض.. لقد اختار خالد حياة النساك والزهاد ولم يعد

يفكر فى الرجوع إلى حياة أبيه.. ومن ذا الذى يرجع من الجنة بعد أن دخلها؟! ومن هو الذى يفكر فى أبيه المادى بعد أن عثر على أبيه الروحى؟!.

فأبو الجسد كل همه أن ينقذ ابنه من نيران الدنيا.. ولكن أبا الروح همه أن ينقذ ابنه من نيران الآخرة.. لأن الدنيا تفنى والآخرة هى التى تدوم.. فكيف وأبو خالد يريد أن يقذفه فى النار الأبدية ولا يبالى بأن يطعمه من حرام ويغذيه على دماء المساكين.. ويقهره على عبادة الحجارة والآلهة المصنوعة.

حتى جاء ذلك اليوم الذى مرض فيه أبوه مرضا شديدا وعلم خالد من الركبان بخبر مرض أبيه..فأمره النبى ﷺ بزيارة أبيه.. فذهب اليه خالد وجلس عند رأسه.

فلما فتح أبوه عينيه ورآه جالسا عنده قال له بخبث متوعدا: إن برأت وشفيت من مرضى هذا، لايعبد إله محمد ﷺ بمكة أبدا.. فلم يتمالك خالد نفسه عندما سمع ذلك وقال: اللهم لاترفعه ولاتشفه.. فمات فى مرضه هذا.. ثم رجع خالد إلى النبى ﷺ ومعه فى هذه المرة أخوه عمرو فقد أسلم أيضا.. واختار النبى ﷺ عددا من أصحابه لكتابة الوحى وكان منهم خالد فهو أول من كتب للنبى فى المصحف.. بسم الله الرحمن الرحيم.

القصة الثانية

الصحابى الذى تغذى ثلاثين يوما على الماء فقط...

أبو ذر رجل مشغول بالدين.. كان من قبل أن يسمع عن بعثة النبى ﷺ وهو يستنكر عبادة الأوثان ويتحسبس أخبار السماء.

يقول أبو ذر: صليت لله يعنى على شريعة إبراهيم قبل أن ألقى النبى ﷺ بثلاث سنين.. أتوجه حيث يوجهنى ربى.

فلما شاعت الأنباء فى العرب عن خروج رجل هاشمى اسمه محمد يدعى أنه نبى.. أصاب هذا النبأ قلب أبى ذر وليس أذنه.. فلم يسمعه كما يسمعه الآخرون بسخرية أو بلا مبالاة أو بسب وشتم.. وإنما وجد له فى قلبه موطنا ينتظره وكأن روحه كانت تتوقع حدوث هذا الأمر.

فالعالم حوله كان غارقا فى الظلم والماديات المتحجرة.. وكانت هناك نفوس كثيرة متعطشة للنور والرحمة.. والعطش دليل على وجود شىء اسمه الماء.. لم يكن الله. العادل الرحيم ليترك البشرية هكذا يتيهون فى أودية الغى والضلال.. كان لابد أن يحدث شىء يعدل كفة الميزان.

تلقف أبو ذر الخبر وكان أخوه أنيس مسافرا إلى مكة فقال له.

بلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم أنه نبى، انطلق إلى هذا الرجل فكلمه والتنى بخبره..

فلما رجع أنيس تلقاه أبو ذر بلهفة قائلا ماعندك؟.

أنيس: والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكأنك على دينه.

أبو ذر: فما يقول الناس فيه؟.

أنيس: يقولون.. شاعر، كاهن، ساحر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

أبو ذر: اكفنى حتى أذهب وأنظر إليه.

أنيس: نعم، ولكن كن على حذر من أهل مكة.

فخرج أبو ذر وحده، يحمل جرابا وعصا ويضرب فى الصحراء الواسعة يريد أن يصل مكة.. رحلة طويلة شاقة بين الجبال لا يريد منها دنيا ولا تجارة ولا منصبا أو جاه.. وإنما خرج يبحث عن هذا الرجل الذى سيدله على الله.

خرج يطلب المُرَبِّى والدليل الذى سيقوده إلى طريق السموات.. إنه فى مكة، مكة.. حيث المسجد الحرام والبلد المقدس قبلة الآباء والأجداد.

مكة حيث الكعبة والطائفين والزوار والعمار.. مكة حيث زمزم والصفا والركن والمقام.. إنها عالم الروح وموطن التجرد.. نعم لابد أن النبى سيخرج من بين هذه المشاعر العظام.. وإن كانت فى مكة أصنام وأوثان تعبد ولكنها فى الأصل بيت الجد إبراهيم، بناها لعبادة رب الأرض والسماء.. وها هو النبى يخرج من ذرية إبراهيم ونسل عبد المطلب.. أكرم به من حفيد يعيد مجد الأجداد.. متى تصل يا أباذر إلى مكة؟ ومتى تقابل هذا النبى؟.

فلتطوى سريعا هذه الصحراء.. ولكنه ما أن وصل أبو ذر إلى مكة حتى وجد نفسه لم يصل إلى شىء بعد وأصبح فى حيرة شديدة لأنه رجل غريب

ولا يعرف أين يوجد النبى محمد ﷺ.. ولا يقدر أن يسأل عن مكانه؛ فإن من كان يسأل عن النبى فى ذلك الوقت أو حتى يتلفظ باسمه يتعرض لأشد الأذى والتنكيل، ولربما للأسر والتعذيب والقتل.. فلا يقدر أحدٌ أن ينطق باسم محمد علانية إلا إن كان سابا أو شاتما أو رجل له عصبية وعشيرة تحميه.

ففضل أبو ذر أن يظل صامتا ولا يسأل عنه أحدا وظل يتنقل بين أزقة مكة ودروبها بلا مأوى ولا طعام.. وكلما شعر بالجوع ذهب إلى بئر زمزم فاغترف من مائه وشرب منه.. إلى أن مضى عليه ثلاثون يوما وهو على هذه الحال.. غريب عابر سبيل لا يدرى أين وجهته.. ولا يستطيع أن يسأل عن العنوان والشخص الذى يريده.. فالأمر ليس سهلا ولكنه طريق مَهْرُه بذل الأرواح.

حتى كان أبو ذر يقول فى ذلك: فحملت جرابا وعصا، ثم أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لاأعرفه – يعنى النبى ﷺ – وأكره أن أسأل عنه. فمكثت فى الكعبة ثلاثين ليلة ويوم، وما كان لى طعام إلا ماء زمزم.فسمنت منه حتى تكسرت عكن بطنى، وما وجدت على بطنى سحنة الجوع.

وشاء الله أن يمر على أبى ذر ذلك الفتى الهاشمى على بن أبى طالب.. فلمح علىٌّ أبا ذر وتفرسه ببصيرته النورانية.. إنه رجل غريب تبدو عليه مشقة السفر.. يحمل على كتفيه جرابا وعصا.. يظهر من ثيابه والتراب العالق بها أنه لا يبيت على فراش.. كل يوم تجده فى سكة وفى زقاق بلا رفيق ولا صاحب من أهل البلدة.. تقدم إليه على بن أبى طالب وسأله:

ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة.؟.

أبو ذر: إن أعطيتنى عهدا وميثاقا أن ترشدنى أخبرتك.

على: فإنى أفعل.

أبو ذر: بلغنا أنه خرج هنا رجل يزعم أنه نبى فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر؛ فأردت أن ألقاه.

على: أما أنك قد رشدت، هذا خروجى إليه فاتبعنى، فادخل حيث أدخل، فإن رأيت أحدا أخافه عليك؛ قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى؛ فامض أنت.

فمضى على بن أبى طالب يمشى أمام أبى ذر عن بعد.. وأبو ذر يهرول خلفه حتى لا يغيب عن نظره بين الناس.. حتى دخل على ابن أبى طالب إلى النبى ﷺ ودخل معه أبو ذر.

ويحكى أبو ذر هذا اللقاء الأول بينه وبين رسول الله ﷺ فيقول:

فمضى على ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبى ﷺ وكان رسول الله ﷺ يصلى ومعه صاحبه - يعنى أبا بكر - فلما قضى صلاته، أتيته فقلت: السلام عليك يارسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فرأيت الاستبشار فى وجهه.

ثم قال لى النبى ﷺ «من الرجل»؟.

فقلت: من غفار..

فقال ﷺ «متى كنت»؟.

فقلت: كنت من ثلاثين يوما وليلة ههنا.

فقال النبى ﷺ: «فمن كان يطعمك»؟.

فقلت: ماكان لى طعام إلا ماء زمزم. فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى، وما أجد على بطنى سحنة جوع.

فقال النبى ﷺ: «مبارك.. إنها طعام طعم.. وشفاء سقم».

وعند ذلك بايع أبو ذر رسول الله ﷺ على أن لا يأخذه فى الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا..

ثم قال له النبى ﷺ: «يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى قومك فأخبرهم يأتونى، فإذا بلغك ظهورنا؛ فأقبل»(١).

ومضى أبو ذر وقد امتلأت روحه إيمانا وقوة.. ورأى الوثنيين وهم يعبدون الأصنام ويبطشون بكل من يتبع النبى ﷺ، ويعذبون الضعفاء والمساكين من المؤمنين..فتذكر أبو ذر أن عهده مع النبى ﷺ أن يقول الحق ولو كان مرا، وأن لا يأخذه فى الله لومة لائم.. فأراد أن يعرف صدق نفسه ووفاءه بعهده مع النبى، فقال أبوذر: والذى بعثك بالحق لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم.. ومضى أبو ذر نحو جمع من عتاة المشركين يتقدم إليهم فى خطا ثابتة لا يراهم فى عينيه إلا أقل من ذرة تراب.. لا يهمه شىء ولا يشغله شىء سوى أن يرى من نفسه وفاء بعهده مع النبى ﷺ أن يقول الحق ولو كان مرا.. وبالفعل صرخ أبو ذر فى وسطهم بكلمة الحق التى كادت أن تكون ضريبتها حياته.. ولكن عند تلاميذ محمد تهون الحياة أمام كلمة الحق.

يقول أبو ذر فى ذلك: فلما اجتمعت قريش بالمسجد. ناديت بأعلى صوتى، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.. فقالوا:

---

(١) البخارى كتاب مناقب الأنصار ومسلم فى صحيحه والسيرة الحلبية فى سيرة الأمين.

قوموا إلى هذا الصابئ.فضربت لأموت.. ومال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على.

فأكب على العباس ثم قال لهم: ويلكم، ألستم تعلمون إنه رجل من غفار، وإن طريق تجارتكم تمر عليهم؛ فخلوا عنى، ثم جئت إلى زمزم فغسلت عنى الدماء.

فلما كان الغداة رجعت لمثل ذلك.فصنع بى ماصنع.وأدركنى العباس وكان منه كالأمس. ثم سافر أبو ذر إلى بلاده وقد عاد قويا كالصلب.. قاطعا كالماس.. زاهدا فى الدنيا وما فيها..قد عرف طريقه إلى السماء.. ووجد بغيته التى كان ينشدها.. حتى قابله أخوه أنيس، فقال له:

ماصنعت يا أباذر؟.

أبو ذر: أسلمت وصدقت.

أنيس: وأنا مالى رغبة عن دينك.فإنى قد أسلمت وصدقت.

ثم ذهبا إلى أمهما فأسلمت أيضا. ثم ذهبوا إلى قومهم غفار ودعوهم للإسلام.فأسلم نصفهم. وقال النصف الآخر: إذا ظهر النبى كما وعدك يا أباذر ذهبنا إليه وأسلمنا بين يديه.

ولذلك قال النبى ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر»[1].

«أبوذر أزهد أمتى وأصدقها»[2].

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة وابن عبد الهادى فى فضائل الصحابة.

(٢) أبو الفرج فى سيرة الأمين.

القصة الثالثة

أبو بكر يفدى بلالا من العذاب

رضى الله عنهما

كان بلال عبدا أسود أصوله من بلاد الحبشة.. وكان مملوكا لعبد الله ابن جدعان، فكان يرعى غنما له فى المراعى والوديان.. فلما سمع ببعثة النبى ﷺ كان يتسلل إليه دون علم مولاه، فيسمع منه تعاليمه.

فأحب بلال الله من كل قلبه، وأحب رسول الله ﷺ، ووجد فى تعاليمه الرحمة والعدل الذى يعلى من قيمة الإنسان؛ حتى إن أبا ذر كان فى مرة يمزح مع بلال فقال له: يا ابن السوداء.. فسمعه النبى ﷺ فغضب جدا حتى احمر وجهه وقال: «يا أبا ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية»(١). «طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»(٢).

فارتمى أبوذر على الأرض ووضع خده على التراب وقال:

يا بلال ضع قدميك على خدى.. فبكى بلال لما رأى هذه الرحمة وهذا الدين. الذى يمحو العصبية للأعراق والأجناس والألوان.

ولم يتمالك بلال نفسه حتى ذهب يوما إلى الأصنام التى حول الكعبة..وقد خلا المكان من الناس. فصعد بلال فوق الأصنام وصار يبصق عليها وهو يقول: خاب وخسر من عبدكن.

(١) رواه مسلم والبخارى وأبو داود.

(٢) أخرجه ابن المبارك فى البر والصلة والعراقى فى تخريج الإحياء والإمام أحمد فى مسنده.

فشعر به رجل من الكفار. فأخبر الناس فاجتمعوا عليه وأمسكوه وقادوه إلى مولاه ابن جدعان.. واشتكوا له وقالوا له:

هل صبوت ياابن جدعان حتى يجرؤ مملوكك على هذا.

فقال لهم: و مثلى يقال له ذلك! ما الحدث؟.

فقالوا: إن أسودك هذا صنع كذا كذا.

فأعطاهم مائة من الإبل ينحرونها للأصنام، ثم تقدم أمية بن خلف واشترى بلالا من ابن جدعان ليعذبه كما يحلو له، فباعه له، وساقه أمية يجره من رأسه إلى ساحات التعذيب، وجمع حوله زبانيته ورجاله ومكنهم من تعذيب بلال.

فكان سيده أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه طوال يومه وليلته.. فيطرحه على ظهره فى حر الرمضاء (وهى الحصا والحجارة إذا تعرضت لوهج الشمس وحرارتها فى الصحراء ولو وضع عليها قطعة من اللحم لنضجت ولو وضع عليها الماء لغلى)، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فيحملها الرجال فتوضع على صدر بلال وبطنه.

ثم يقول له: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول بلال: أحد أحد.. يمزج حلاوة الإيمان بمرارة العذاب ولكى تكون كلمة أحد آخر ماينطق به إذا مات فى عذابه.

فيقول أمية: زيدوه عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره.. ثم يأخذه أمية بحبل من عنقه وقد أوثق يديه ورجليه ويسلمه للصبيان يجرونه على الأرض، حتى رآه الراهب ورقة بن نوفل فقال لأمية بن

خلف: لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا – يعنى لأتخذن قبره مزارا ومسترحما لأنه من أهل الجنة – ويبكى ترحما له[1].

إلى أن مر أبوبكر فى يوم على بلال وقد وضعوا الصخرة على بطنه وقد خرج لسانه وسال لعابه وكاد أن يموت.. فقال أبوبكر لأمية بن خلف:

ألاتتقى الله فى هذا المسكين؟ حتى متى تعذبه؟.

فقال أمية: أنت أفسدته، فأنقذه إذا مما ترى.

فقال أبو بكر: عندى عبد اسمه قطاس صاحب عشرة آلاف دينار ومواشى، وهو مشرك، فخذه وأعطنى بلال.

فعند ذلك قال أمية لأصحابه: لألعبن بأبى بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد ثم تضاحك وقال له:

لاوالله يا أبا بكر حتى تعطينى مع عبدك قطاس امرأته أيضا.

فقال أبو بكر: إن فعلت ستفعل؟.

قال أمية: نعم

فقال أبو بكر: أعطيتك امرأته.

فتضاحك أمية وقال: لاوالله حتى تعطينى ابنته أيضا.

فقال أبو بكر: وإن فعلت ستصدق؟.

قال أمية: نعم.

قال أبو بكر: أعطيتك ابنته.

فتضاحك أمية وقال: لا والله حتى تزيدنى معهم مائتى دينار فوق ذلك.

---

(١) السيرة لابن هشام والسيرة الحلبية.وحلية الأولياء للأصبهانى وأمالى ابن بشران وتفسير القرطبى والروض الأنف للسهيلى.

فقال أبوبكر: أنت رجل لاتستحى من الكذب.

فقال أمية: لا واللات والعزى لئن أعطيتنى لأفعل.

فقال: هى لك.

فأعطاه أمية بلالا ثم قال له بعد أن تمت الصفقة.

لوقلت: لا اشتريه إلا بأوقية، لبعته لك.

فقال أبوبكر: ولو طلبت مائة أوقية لأخذته بها.

فقال أبوسفيان لأبى بكر يعاتبه: إنما أضعت مالك ولن تعوضه أبدا.

فمضى أبو بكر وبلال يستند عليه لأنه لا يقوى على المشى وهو يقول لأبى بكر: إن كنت اشتريتنى لنفسك فأمسكنى، وإن كنت اشتريتنى لله فدعنى.. فضحك أبوبكر وأخذ يفك عنه قيوده وهو يقول له:

أنت حر لوجه الله يا أخى.

ثم ذهب بلال إلى رسول الله ﷺ، ففرح رسول الله وتهلل لما رآه وقال عمر: «أبوبكر سيدنا وقد أعتق سيدنا».. وبشره رسول الله قائلا: «بلال سابق الحبشة»[1] «اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة: إلى على، وعمّار، وبلال»[2].

وهكذا كان أبو بكر يشترى العبيد المعذبين.. فقد اشترى عامر بن فهيرة وأم عنيس، وامرأة يقال لها لطيفة، وأم عامر، وكذلك النهدية، وابنتها وغيرهم كثير.. حتى إن أباه قال له: يا بنى، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك اشتريت رجالا أقوياء جلدا، يحمونك ويقومون دونك.

---

(١) سير أعلام النبلاء وحلية الأولياء لأبى نعيم والطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) الترمذى فى الجامع والطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم فى المستدرك.

فقال أبوبكر: ياأبى، إنما أريد وجه الله.. فأنزل الله فى القرآن ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ الليل ٥-٧

إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ الليل ١٩-٢١

ولذلك كان النبى ﷺ يقول فى حق أبى بكر «إن من أمنّ الناس علىَّ صحبة أبا بكر..واسانى بماله.. وزوجنى ابنته..واشترى لى بلالا»[1] فيبكى أبو بكر قائلا: وهل أنا ومالى وعيالى إلا لك يارسول الله.

(١) رواه ابن عساكر والطبرانى.

القصة الرابعة

عمران بن حصين ﷺ ابن وأبوه يختلفان ثم يلتقيان فى أحضان الهداية

كان حصين رجلا متقدما فى السن، توقره قريش وتحفظ منزلته.. وكان ابنه عمران قد أسلم واتبع النبى ﷺ، فلم تشأ قريش أن تبطش بعمران وتذيقه العذاب كما تفعل بالشباب الذين يعلنون إسلامهم لأجل مكانة والده بينهم.. فذهب سادة قريش إلى حصين وقالوا له: يا حصين، كلم لنا هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؛ فإنه يذكر آلهتنا وأصنامنا ويسبها.

فوقع كلامهم منه موقع القبول والاستعداد خاصة وأن ابنه أيضا قد آمن بالنبى ﷺ وكفر بآلهة آبائه وأجداده.

فنهض حصين متوجها نحو النبى ﷺ وقد امتلأ غضبا بعد أن دفعه قومه وجعلوه رائدا لهم فى أن يدفع عنهم أذى محمد.. وذهبوا معه جميعا يحدثونه طوال الطريق ويوغرون صدره على النبى ﷺ بكل كذب قبيح.. حتى وصلوا قريبا من باب النبى ﷺ فجلسوا فى الخارج ودخل حصين.

فلما رآه النبى ﷺ رحب به وقال لأصحابه «أوسعوا للشيخ».. وكان عمران ولده جالسا بين الصحابة.. فجلس حصين وهو متحفز ثم بادر بالكلام فقال للنبى ﷺ فى لهجة اعتراض:

ما هذا الذى بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها.

فقال له النبى ﷺ: «يا حصين كم تعبد من آلهة»؟.

الحصين: سبعة فى الأرض وواحد فى السماء.

فقال النبى ﷺ: «فإذا أصابك الضر لمن تدعو»؟.

قال حصين: الذى فى السماء.

قال النبى ﷺ: «فإذا هلك المال فمن تدعو»؟.

حصين: الذى فى السماء.

فقال النبى ﷺ: «فيستجيب لك وحده وتشرك معه! أرضيته فى الشرك ياحصين؟ أسلم تسلم».

فتفكر الحصين قليلا ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

وعندها فرح الجالسون واستبشر الصحابة، فقام إليه ولده عمران وأخذ يقبل رأسه ويديه ورجليه.. فبكى النبى ﷺ.. فسأله الصحابة: لم بكيت يا رسول الله؟.

فأجابهم النبى ﷺ: «بكيت من صنع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته. فلما أسلم وفَا حقه فدخلنى من ذلك الرقة».

فلما أراد حصين الخروج قال النبى ﷺ لأصحابه: «شيعوه إلى منزله»[1]. فلما خرج حصين من عتبة الباب لم يلتفت ناحية رجال قريش الذين كانوا ما زالوا جالسين، فكأنه لا يعرفهم.

---

(١) السيرة لابن هشام وأسد الغابة والسيرة الحلبية.

القصة الخامسة

الطفيل ﷺ ومعجزة قنديل النور

كان من بين القادمين إلى مكة للحج رجل اسمه الطفيل بن عمرو الدوسى.. وكان شريفا فى قومه، شاعرا نبيلا.. فلما رآه المشركون فى بلدهم تخوفوا أن يقابل النبى ﷺ فيستمع لحديثه العذب فيميل قلبه له ويؤمن به؛ خاصة وأن الطفيل من أهل الشعر والبلاغة فهو رجل رقيق المشاعر يقدر الكلمة ويزن الرجال بما يخرج من أفواههم.. فكيف إذا قابل شخص النبى ﷺ بما له من سطوة على القلوب وجمال وجلال يأخذ بالأرواح وسمع منه آيات القرآن التى تخضع لها الآذان والقلوب.

فلم يكن أمامهم سوى أن يقوموا بحملة تحصين للطفيل ووضع الحواجز بينه وبين النبى ﷺ عن طريق تشويه النبى فى ذهنه والتخويف منه؛ حتى إذا مر الطفيل بالنبى ﷺ فى طريق نفر منه ولم يسمع له، وإذا سمع له لم يتأثر به.

فقالوا له: يا أبا الطفيل، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا.. قد أعضل أمره بنا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا،قوله كالسحر يفرق بين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته.. وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل بنا؛ فلا تكلمه ولا تسمع منه.

وسمع منهم الطفيل هذه الوصية وتأثر بها إلى درجة جعلته يحشو أذنيه قطنا مخافة أن يستمع إلى النبى ﷺ أو أن يسمع أحد أتباعه يتلو شيئا من القرآن.

ولكن لأن النفس من طبعها أن تطلب الممنوع وتتشوق لمعرفة المجهول فقد جاءت هذه الحملة الوثنية الكاذبة بنتيجة عكسية مع الحصين.. حتى كانت بداية إسلامه، ولندعه هو يحكى لنا قصته فيقول:

فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه.. حتى حشوت فى أذنى كرسفا - يعنى قطنا - خوفا من أن يبلغنى شىء من قوله، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة.. فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا أن أسمع بعض قوله.. فسمعت كلاما حسنا.. فقلت فى نفسى: واثكل أمى، والله إنى لرجل لبيب شاعر، وما يخفى علىَّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول، فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته.

فمكثت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته.. حتى إذا دخل بيته دخلت عليه.. فقلت: محمد، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا، فوالله مابرحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك.. ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعته قولا حسنا.. فاعرض علىَّ أمرك.

فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علىَّ القرآن.. فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق. وقلت: يانبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام؛ فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال النبى ﷺ: «اللهم اجعل له آية».

فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية - وهى مكان مرتفع - تطلعنى على الحاضرين - وكانت ليلة مظلمة - وقع نور بين عينى مثل المصباح..

فقلت: اللهم فى غير وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة - يعنى برصا وقع فى وجهى - فتحول النور فكان فى رأس سوطى، فجعل الحاضرون يتراؤون وينظرون ذلك النور كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

وتجمع الناس يشاهدون الطفيل وهو نازل من فوق هذه الهضبة المرتفعة وبيده نور يتلألأ وكأنه القنديل فينظرون فلا يجدون مصدرا لهذا النور، فكانت آية عجيبة ورمزا يوحى بأن الطفيل قد رجع إليهم بغير ما ذهب.. وأنه قد عاد مُحمّلاً بنور من عالم علوى غيبى.. فالتفوا جميعا حوله وجلسوا يسمعون لكلامه وما دار بينه وبين النبى ﷺ فتشوقوا جميعا لمقابلة مصدر هذا النور وانشرحت صدورهم للهداية فأسلم أهل الطفيل كلهم..أبوه وزوجته وأبناؤهم وعشيرته، وسماه قومه بذى النور.

ثم ذهب الطفيل يدعو بقية قبيلته دوس فآمن بعضهم لما رأى آية النور ولكن الباقين منهم رفضوا الإيمان لأنهم أصروا أن لا يتركوا الزنا الذى يحرمه الإسلام.. فلما أبطأوا فى الإيمان رجع الطفيل إلى النبى ﷺ فى مكة وهو حزين مهموم.. وقال: يانبى الله، إنه قد غلبنى على قومى دوس الزنا.. فادع الله عليهم ليهلكهم.. ولكن إذا بالنبى ﷺ يرفع يديه ويدعو قائلا «اللهم اهد دوسا وأئت بهم».. «ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»[1]

فرجع الطفيل إلى قومه فوجد ثمانين بيتا كلهم قد أسلموا ببركة دعاء النبى ﷺ.

---

(١) البخارى فى صحيحه وابن هشام فى السيرة الإصابة فى تمييز الصحابة ابن حجر.

القصة السادسة

هجرة أبى أحمد الضرير رضي الله عنه
ورحلة الكفاح المقدس...

كان شاعرا من فرسان الكلمة.. تقدم به العمر ففقد بصره لكنه لم يفقد بصيرته.. وقد أحب النبى ﷺ حبا سوف تراه فى كل أفعاله وكلماته.. فبالرغم من أن الله قد أعطاه رخصة لأنه من ذوى الأعذار فإنه لما علم بهجرة الصحابة إلى الله ورسوله. تفكر فى حاله أن له دابة يركبها وعنده زاد من طعام وشراب يكفيه للوصول الى المدينة.. فلا ينقصه شىء للهجرة ولا حجة له للجلوس بين المستضعفين.. رغم أنه إذا تأملناه وجدناه من أشد المستضعفين.

فهو رجل أعمى مسن فقير.. ولكنها قوة الإيمان التى إن تمكنت من قلب إنسان ضعيف جعلت منه بطلا يُضرب به الأمثال.

فلما أراد أبو أحمد الهجرة خرج بزوجته وكل أهله وخرج معه أخوه عبدالله بن جحش وأبناؤهم معهم صغار. حتى تركوا ثلاثين بيتا من أحسن بيوت مكة استولى عليها أبو جهل.. ومضوا فى مسيرهم ليس لهم دابة يركبونها ومشى أبو أحمد يتعثر فى صخور البرية ومفاوز الصحراء وقد هجر الوطن وترك الديار لا يحمله على ذلك إلا الحب لرسول الله.

فتقدم أخوه عبد الله يقوده ويحمله على كتفيه أحيانا إذا كان الطريق وعرا.. حتى إذا كانوا خارج مكة قابلهم جمع من المشركين فى الخيل والسلاح فعرفوهم وأرادوا القبض عليهم.. فقال أبو أحمد: إن لنا بيوتا فى مكة ولنا ثلاثون شاة عند فلان جار لنا، وهذا ما معنا من مال فخذوهم واتركونا. فأخذ المشركون مالهم وتركوهم.. وخلت ديارهم بمكة وصارت خرابا، فمر بها عتبة بن ربيعة، وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب، فنظر إليها وهى خاوية تخفق أبوابها ليس فيها ساكن وقد خيم عليها الظلام فعدت أطلالا تحمل الذكريات، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء حزنا، ثم أنشد قائلا.

وكل دار وإن طالت سلامتهـــا يوما ستدركها النكباء والحوب

أصبحت ديار بنى جحش خلاء من أهلها.

فقال أبو جهل وما تبكى عليها ذلك عمل ابن أخيك هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا، ولكن أبو أحمد فى ذلك الوقت كان يسعى سعيدا لا يبالى بما فقد من الدنيا الزائلة فقد كان جبلا ثابتا فى الإيمان.. يستظل به من حوله.. مضت زوجته المؤمنة إلى جواره وهى التى رافقته طوال عمره وخدمته فى مرضه وكانت له عوضا عن عينه التى فقدها.. وهى من أنجبت له أحمد الذى اختاروا له هذا الاسم موافقة لاسم النبى ﷺ، وهى من وافقته على الهجرة وترك الديار.. ولولا الإيمان واليقين ما كان لامرأة أن توافق رجلها على ذلك ابدا.. وإن كان إيمانها لم يمنعها من غلبة طبعها البشرى الرقيق كامرأة تحزن وتبكى حزنا على الماضى وخوفا من المستقبل المجهول.

فقد تركت موطن صباها ونشأتها والعش الذى درجت فيه وقضت فيه عمرها مع زوجها وأبنائها.. وهاهم مقدمون على بلد ليس لهم فيها بيت ولا زرع ولا ضرع.. ولا تعرف عن هذه البلد سوى ما تسمعه من الناس أنها أرض وباء ومرض.. فقالت زوجته:

إننا نخاف على أولادنا من وباء المدينة لأن الحمى كانت منتشرة بأرض المدينة فلو ذهبنا إلى أى بلد أخرى نعبد الله فيها.

فعند ذلك أنشد أبو أحمد كلمات يسرى بها عنها ما تجده.. ويصوغ فيها للمؤمنين من بعده جوهرا خالصا من معانى اليقين.. فراح يقول.

لَمَّا رَأَتْنِـي أُمّ أَحْـمَدَ غَـادِيًا ... بِذِمّةِ مَنْ أَخْشَى بِغَيْبٍ وَأَرْهَبُ

تَقُولُ فَإِمَّـا كُنْتَ لاَبُدّ فَاعِـلاً ... فَيَمّمْ بِنَـا الْبُلْدَانَ ولتَنْأَ يَثْـرِبُ

فَقُلْت لَهَا بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهُنَا ... وَمَا يَثـرِبٍ الرَّحْمَنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ

إِلَى اللّهِ وَجْهِى وَالرّسُـولِ وَمَنْ يُقِمْ ... إِلَى اللّهِ يَوْمًـا وَجْهَـهُ لاَ يُخَيّبُ[1]

(١) السيرة لابن هشام والاصابة فى تمييز الصحابة والاستيعاب.

القصة السابعة

أم شريك رضي الله عنها ...

معجزة الماء وإناء السمن المبارك

كانت هناك امرأة صالحة من دوس تدعى أم شريك كثرت عنها الروايات وتعددت فيها الأقاويل.. وهبت حياتها لله ورسوله وجهرت بإسلامها فى زمن كان الرجال فيه يخفون حقيقة دينهم ويخفضون الصوت عند النطق باسم محمد ﷺ كان فى قلبها سرا يحدثها بأن الله معها سيتولاها بالعناية والحفظ، فراحت تدعو للإيمان فى كل مكان وفى كل بيت ولا تبالى بما تتعرض له من تعذيب وآلام..قيل عنها إنها كانت امرأة مسكينة المنظر ليس لها نصيب من جمال الشكل..ضعيفة جدا.. وأن زوجها مات عنها وقيل إنها لم تتزوج لأنه لم يكن أحد يرضى أن يتزوجها ويشاركها حياتها..لذلك كانت تدعى «أم شريك» يسخرون منها بذلك.. وقد تقدمت بها السن.

هذه المرأة أرادت أن تهاجر إلى النبى ﷺ فى المدينة، ولم يكن لها أحد يصحبها فى هجرتها لأنها بلا زوج ومنقطعة الأهل.. فخرجت تترقب ركبا أو أحدا ليسافر معها.. فرآها رجل مشرك فقال لها:

مالك يا أم شريك؟.

فقالت: أطلب أحدا يصحبنى إلى رسول الله.

المشرك: فتعالى فأنا أصحبك فإنى مسافر نحو يثرب.

أم شريك: إذا فانتظرنى حتى أملأ قربتى ماء.

المشرك: معى ماء كثير، لاتريدين ماء.

فانطلقت معه فساروا يومهم حتى أمسوا.. فنزل المشرك ووضع سفرته فتعشى.. وقال لها:

يا أم شريك، تعالى إلى العشاء.

فقالت: اسقنى من الماء فإنى عطشى ولا أستطيع أن آكل حتى أشرب.

المشرك: لا أسقيك حتى تكفرى بالله.

أم شريك: لاجزاك الله خيرا؛ غربتنى ومنعتنى أحمل ماء معى.

المشرك: لا أسقيك قطرة حتى تكفرى.

أم شريك: لاوالله لا أكفر أبدا بالله بعد إذ هدانى الله للإسلام.

فأقبلت إلى بعيرها فركبته ووضعت رأسها على ركبتها فى هودجها فنامت فما أيقظها إلا برد دلو من ماء قد وقع على جنبها.. فشربت منه حتى ارتوت،ثم ملأت منه قربتها، ثم ارتفع هذا الدلو، حتى توارى وغاب عنها فلما أصبحت ناداها المشرك قائلا:

يا أم شريك لا أسقيك حتى تكفرى.

فقالت: والله لقد سقانى الله.

فقال: ومن أين أتاك الماء؟!.

فقالت: من السماء.

فنظر المشرك ووجد قربتها مملؤة ماء فتعجب منها.. وحكى للناس هذه الآية فى المدينة،ودخلت أم شريك للنبى فقصت عليه ماحدث.

فخطبها النبى إلى نفسه.وطلبها زوجة له فقالت له:يارسول الله لست أرضى بنفسى لك. فأنا دون ذلك.. ولكن يضعى لك فزوجنى من شئت.. فزوجها النبى رجلا من الصحابة اسمه زيد بن نوفل وأمر لها بثلاثين صاعا من الشعير.

وكثر الخير والرزق فى بيت أم شريك وزوجها زيد.. وأنجبت أبناء.. وصارت لها جارية تخدمها.. فأرسلت جاريتها فى يوم إلى النبى تهديه عكة سمن وهى إناء من الفخار يوضع فيه السمن.

فقبلها النبى ﷺ وأعطاها لأهله فأفرغوا ما بها من سمن.. ثم أخذ النبى هذه العكة الفخارية وهى فارغه فأعطاها للجارية.. ثم قال لها ﷺ : «العقوها ولا تأكلوها».

فأخذتها الجارية ورجعت بها إلى بيت أم شريك فعلقتها فى مكان بالبيت فدخلت أم شريك فنظرت إلى العكه فوجدتها مملوءة سمن كما هى.

فقالت أم شريك للجارية: أليس قد أمرت أن تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله؟.

فقالت الجارية: قد والله انطلقت بها كما أمرت وأعطيتها للنبى فقبلها وأخذوها وافرغوها ثم أعطانى إياها.وقال لى «العقوها ولا تأكلوها».

فأقبلت بها وما يقطر منها شىء، فعلقتها فى مكانها هذا، وها هى مملوءة كما كانت تقطر سمنا من جوانبها.

فكانوا يأخذون من سمنها الذى تقاطر كل يوم ويلعقون منها زمانا طويلا لمدة عشر سنين.. حتى دخل إليهم ضيوف فى يوم فاغترفوا ما بها فأكلوه ففنيت عند ذلك[1].

---

(١) فضائل الصحابة والتاريخ الكبير وابن كثير فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية وابن منده فى مسنده ودلائل النبوة.

القصة الثامنة

واصهيباه ولا صهيب لى!

كان الوثنيون فى مكه يتحرقون غيظا على إفلات المسلمين من أيديهم وهجرتهم إلى المدينة.. فكانوا يثأرون من أقاربهم ومن المستضعفين الذين استطاعوا أن يمنعوهم من الهجرة، فراحوا يزيدون عليهم صنوف العذاب.

كانت صرخاتهم تصل إلى قلب النبى محمد ﷺ فيتألم رحمة لهم.. فتتحرك روحه من مقام صفته بالمؤمنين رؤوف رحيم وتفزع إلى خالقها بالدعاء.

فكان ﷺ يدعو الله كل ليلة إذا صلى العشاء فيقنت فى الركعة الأخيرة بالدعاء قائلا.. «اللهم أنج الوليد بن الوليد.. اللهم أنج سلمة بن هشام.. اللهم أنج عياش بن ابى ربيعة.. اللهم أنج هشام بن العاص.. اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين»[1].

وكان يتذكر صهيبا الرومى كثيرا.. ويذكر أن المشكرين حبسوه عنه وهو فى طريقه إلى الهجرة من مكة إلى المدينة وعذبوه عذابا شديدا فيحزن لذلك.. وينادى عليه قائلا.. «واصهيباه، ولا صهيب لى»[2]. لأنه كان يفتقده.. فقد كان لكل صحابى عند النبى ﷺ بيتا خاصا فى قلبه..

(١) البخارى والسيرة لابن هشام.

(٢) الطبرانى فى الكبير وتاريخ دمشق لابن عساكر والسيرة الحلبية والحلية للأصبهانى.

لا يزاحم فيه كل صحابى أخاه برغم كثرتهم وعددهم. وذلك لسعة قلب النبى المتدة بنور الشرح الإلهى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾.. الشرح -١

وكذلك كان صهيب فى مكة يئن شوقا للقاء النبى ﷺ.. ويتألم لذلك أكثر من آلام التعذيب التى تقع على جسده.. ولم يستسلم صهيب ولم يهدأ له بال حتى صنع حيلة أخرى وهرب من محبسه الذى يحبسه فيه الوثنيون.. وفر مهاجرا إلى النبى ﷺ حتى تجاوز حدود مكة وسلك فى طريق المدينة.

فأصاب الوثنيون فى مكة غضبا شديدا من هروبه وامتطوا الجياد فى كل مكان مسرعين فى البحث عنه.. وراحوا يقتفون أثره حتى لحقوا به فى طريقه للمدينة.

فلما سمع صهيب صهيل خيولهم،وصياحهم،ورأى سيوفهم تبرق مقتربة منه.. حاول الفرار منهم لكنه كان يجرى على قدميه بلا جواد.. فأدركوه وأحاطوه بسيوفهم ورماحهم.. وقالوا له.

جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا لا مال لك، فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك، لا يكون ذلك ابدا.

فانتهزها صهيب وقال لهم: لقد علمتم أنى من أرماكم رجلا، وايم الله لا تصلون إلى حتى أرمى بكل سهم معى فى كنانتى ثم أضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء، فافعلوا ما شئتم. ولكن أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى.

فقالوا: وأين مالك؟.

فقال: احفروا تحت أسكفة باب بيتى تجدون أواقى من الذهب.

فذهبوا إلى بيته ليقتسموا الذهب وتركوه. فمضى فى طريقه حتى وصل إلى المدينة.. وكان النبى ﷺ فى ذلك الوقت جالسا مع أصحابه فرأى صهيبا مقبلا من بعيد.. فاستقبله النبى ﷺ فرحا وهو يهتف قائلا: «ربح البيع أبا يحى.. ربح البيع أبا يحى»[1].

فتعجب صهيب وقال: يارسول الله إنه ما سبقنى إليك أحد، وما أخبرك بذلك إلا جبريل.. وصار الناس ينادون صهيب بأبى يحى حتى اشتهر بهذا الاسم.. وسأله عمر لما رآه: ما هذا الاسم الجديد ياصهيب وليس لك ولد؟ فقال صهيب سمانى به حبيبى ﷺ.

(١) الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك وحلية الأولياء.

القصة التاسعة

أم سلمة رضي الله عنها من طريق البلاء إلى بيت النبوة

كانت قريش تموج غضبا على من يفلت من بين يديها من المسلمين ويهاجر إلى المدينة؛ فوضعوا الأرصاد والعيون على حدود مكة وعلى رؤوس الجبال؛ ليخبروهم بمن يحاول الخروج من مكة والهروب من قبضة عذابهم، وكان من الذين أدركهم المشركون أثناء هجرتهم امرأة مؤمنة فقيرة تدعى أم سلمة وهى زوجة الصحابى أبى سلمة.

فإنها هى وزوجها كانا من المؤمنين الذين هاجروا للحبشة ثم عادوا إلى مكة فعذبوا أشد العذاب.. ولما عزموا على الرحيل إلى المدينة كان عندهم بعير واحد، فحمل أبو سلمة زوجته على البعير ووضع بين يديها ابنهم سلمة، وزودهم بالطعام والماء.

وقاد هو البعير، وأثناء خروجهم من مكة هجم عليهم جمع من المشركين من قوم زوجته فقالوا له: يا أبا سلمة لقد غلبتنا على نفسك، فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

ثم نزعوا منه زمام البعير، وأنزلوا زوجته أم سلمة بالقوة، وأخذوها وابنها. وبينما هم كذلك أقبل جمع آخر من المشركين من قبيلة أبى سلمة فلما رأوا الغلام وأمه بينهم.. قالوا: لقد نزعتموها من صاحبنا فلا تنزعوا

ابننا معها فسننزع ولدنا منها فالولد لنا.. ثم تجاذبوا الغلام بينهم وكل فريق يجذب الغلام من ذراع حتى خلعوا يده، وأخذه قوم أبيه ومضوا به. وصارت المرأة تصرخ قائلة: ابنى.. زوجى، ثم مضى بها قومها وهى لا تكف عن الصراخ والعويل.. وهاجر أبو سلمة وحده.

فكانت أم سلمة تخرج كل يوم فى سكك مكة تبكى حزنا لفراق ابنها وزوجها وكاد عقلها أن يجن حزنا عليه.. وظلت على حالتها هذه فترة طويلة حتى مر بها فى يوم رجل من بنى عمها فرأى حالها؛ فرحمها.

وقال لقومها: إلا ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها.. فقالوا لها: الحقى بزوجك.

فلمـا بلغ ذلك قوم زوجها ردوا عليها ولدها.. فركبت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها، ورحلت تريد المدينة وليس معها أحد من خلق الله.. فكانت تمشى وسط الصحراء والجبال الشاهقة هى وابنها يحيط بهم الموت من كل جانب.. حتى إذا وصلت لمكان اسمه التنعيم لقيها عثمان بن طلحة فتعجـب أن يرى امرأة ووليدها فى هذا المكان وليس معهم من يحميهم.

فقال لها: إلى أين يا أمة الله؟.

فقالت: إلى زوجى بالمدينة.

قال: أوما معك أحد؟.

فقالت: لا،ما معى إلا الله وابنى هذا.

فقال: والله لا أتركك فى هذه البرية.

فأخذ بزمام بعيرها يقوده لها وسار معها.. وكان من شهامته أنه إذا وصلوا إلى مكان للمبيت أناخ لها البعير ثم يتأخر هو حتى تنزل،

ثم يأخذ الجمل فيقيده فى شجرة، ويأتى إلى شجرة فيضّجع تحتها.. فإذا أصبحوا للرحيل قام فأخذ البعير فقربه إليها ثم يستأخر بعيدا ويقول لها: اركبى.. فإذا ركبت تقدم فأخذ بزمام البعير يقوده.

وظل هكذا حتى إذا أشرفوا على المدينة وصاروا على مقربة منها قال لها: هذا زوجك هنا فادخلى إليه على بركة الله.. ولحقت أم سلمة بزوجها فى المدينة يجمعون أبناءهم تحت جناحهم،ويعيشون حياة الإيمان والعبادة.

ومر زمن طويل من دخول النبى ﷺ وصحابته إلى المدينة وخوضهم معركة بدر وأحد،وعزمت قبيلة تدعى بنى أسد على أن تهاجم المدينة وراحت تعد لذلك جيشا من رجالها.. فبلغ النبى ﷺ هذا الخبر، فكان لابد أن يقوم بحملات تأديبية لردع هذه القبائل والعصابات التى تعيش على قطع الطريق والسلب والنهب، وقد رأت أن الاسلام خطر يقضى على قرصنتها، فاختارت محاربة المسلمين بكل وسيلة، وأعملوا الغدر والاغتيال للصحابة فى كل مكان، حتى تجاسروا على الإعداد لاقتحام المدينة.. وتسابق الصحابة للخروج لرد هذه الاعتداءات الظالمة؛ فجهز النبى ﷺ منهم كتيبة فيها من جند الله مائة وخمسون رجلا واختار أبا سلمة ليكون أميرا لهم وقال له وهو يودعه: «اخْرُجْ فِى هَذِهِ السَّرِيَّةِ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَيْهَا».. وَعَقَدَ لَهُ النبى ﷺ الراية وأعطاه إياها، وَأوصاه بتقوى الله والثبات وقَالَ له: «سِرْ حَتَّى تَرِدَ أَرْضَ بَنِى أَسَدٍ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلاقَى عَلَيْك جَمُوعُهُمْ»[1].

(١) مغازى الواقدى.

وكان أبو سلمة ممن شارك فى أحد وأصيب بجرح غائر فى جسده، وكان يتمنى على الله الشهادة، وأحس أبو سلمة بأنه على أعتاب الآخرة وأن الله سوف يختاره من الشهداء؛ فذهب الى بيته يودع زوجته وأولاده.. وقال لزوجته وهو يوصيها: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يصيب أحد من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته، ثم يقول اللَّهُمَّ أْجرْنِى فِى مُصِيبَتِى. وَاخْلُفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا. إلاّ فعلَ الله ذَلِكَ بِه»(١).

ثم رفع أبو سلمة يديه يدعو الله قائلا: اللهم اخلفنى فى أهلى بخير.. وفارق أهله وهم يودعونه بالدعاء والدموع.

وخرج أبو سلمة بالكتيبة يسرع فى المسير قبل أن يداهمهم العدو، حتى أصبح على مقربة من أرض بنى أسد فقسم كتيبته إلى ثلاث فرق وأرسل عليهم من كل ناحية فرقة..فألقى الله الرعب فى قلوب الوثنيين فتفرقوا وفروا هاربين فى الجبال.. فأمر أبو سلمة جند الله أن يكفوا عنهم ولا يلاحقوهم. ورجعوا جميعا سالمين غانمين، لكن الجرح الذى كان فى جسد أبى سلمة قد انتفض عليه ثانية وفاضت روحه بعد ثلاث ليال من رجوعه. فقالوا: رحم الله أبا سلمة كان من شهداء أحد، يعيش بيننا حتى رد بنى أسد.. ولما توفى أبو سلمة حزنت امرأته حزنا شديدا، وقد هدت وفاته قواها وأحيت ذكرى البلايا التى تحملتها طيلة أيامها.. وتذكرت هجرتها فى سبيل الله مع زوجها إلى الحبشة فى الهجرة الأولى.

ثم هجرتها معه إلى المدينة فى الهجرة الثانية.. وتذكرت عندما نزع المشركون منها ولدها حتى خلعوا يده، وفرقوا بينها وبين ولدها

---

(١) الترمذى وأبو داود وابن ماجة وأحمد.

وزوجها.. فقد قضت حياتها ترتحل وتتنقل من بلد إلى بلد لا يستقر بها وطن ولا تعرف لها بيت. كل ذلك قد لاقته لأنها اختارت الإيمان بالله ورسوله.. وها هو زوجها يفارق الحياة ويتركها تعول أيتاما غرباء فقراء.

ومضت الأيام والشهور على أم سلمة وأبنائها وهم يعتصمون بالصبر والرضا فى وجه هذه الأحزان.. ولم يكن سهلا أن يوجد رجل يرتضى بأن يتزوج هذه الأرملة المسكينة المتقدمة فى العمر وأن يضم لحياته أولادها بأعبائهم وحملهم.

فأمر الله نبيه ﷺ أن يتزوج هذه الأرملة وأن يضم هؤلاء الأيتام الى بيته وكنفه؛ فأرسل لها النبى ﷺ يخطبها؛ فأصاب الفرح أولادها؛ حيث كان النبى ﷺ أحب إليهم من الدنيا وما فيها، لما كانوا يرون من عطفه ورأفته.. وعرف الفرح طريق قلب أم سلمة وشعرت بأن الله يعزيها ويعطيها منزلة لم تكن تخطر لها ببال؛ حيث تصبح أما للمؤمنين وزوجا لخير البشر بعد كل هذا البلاء الذى لاقته فى حياتها.

ولكن هذا الفرح لم يجعلها تسارع فى الموافقة على طلب النبى لزواجها.. فسرعان ما تراجع الفرح من فؤادها وحل مكانه القلق والمخاوف؛ فقد رأت فى نفسها أنها حمل ثقيل على النبى ﷺ، وأنها أرملة مسكينة فقيرة ليست كفئا للنبى ﷺ فى شىء.. وليس لديها ما تمتاز به فتقدمه للنبى ﷺ، فهناك من النساء من ذوى الحسب والثراء من هن أجمل وأغنى وأصغر منها لو أراد النبى ﷺ ذلك، كما أن أولادها سوف يكونون رهقا على النبى ﷺ وزيادة على ما يتحمله من أعباء.

فربما يكون قد دفعه طبعه الشريف المملوء بالرحمة أن يطلبها لنفسه، ليس رغبة فيها، ولكن رغبة لأن يدخل السعادة عليها وعلى بنيها،

دون أن يلتفت إلى ما يجره ذلك عليه من أعباء وهموم تثقله.. فخشيت أم سلمة أن يكون زواجها من النبى ﷺ إيذاء له فيغضب الله منها لذلك.

هكذا تمادت أم سلمة فى فكرها إلى أبعد مدى تفكر به امرأة تحب الله ورسوله ويملأها الحياء وعدم رؤية الذات.. فتكلمت أم سلمة للنبى ﷺ بكلمات عميقة فى معناها ودلالتها تنم عما يدور بداخلها من أفكار ومخاوف صادقة. فقالت:

يارسول الله ما بى أن لا تكون بك الرغبة فى، ولكنى امرأة شديدة الغيرة، فأخاف أن ترى منِّى شيئا يعذبنى الله به، وأنا امرأة قد دخلتُ فى السن، وأنا ذات عيال.

فخاطبها النبى ﷺ قائلا.. «أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ منك، وأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِى مِثْلُ الَّذِى أَصَابَكِ.. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِى»(١).

فلم تكد أم سلمة تسمع هذه الكلمات من النبى ﷺ حتى انقشعت عنها سحابة المخاوف ووجدت السعادة تغمر كيانها.. فقالت لابنها الصغير عمر فى دعابة: قم ياعمر فزوجنى إلى رسول الله.

وانتقلت أم سلمة وأبنائها عمر وسلمة وزينب إلى بيت النبى ﷺ وكان النبى ﷺ يحسن إلى أبناؤها ويهتم بهم كأنهم أبناؤه، فبسط لهم من عطفه وعلمه حتى صارت زينب من أفقه نساء أهل زمانها، وبلغ من محبته ﷺ لسلمة أن زوجه لما كبر من بنت عمه أسد الله حمزة ابن عبد المطلب.. وأما عمر فكان النبى ﷺ يحنو عليه ويحبه حبا كبيرا

(١) أحمد فى مسنده وابن كثير السيرة النبوية.

حتى كان يضعه فى حجره ويطعمه الطعام ويعلمه قائلا.. «يا بنى، أدم، وسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[1].. وقد عاش عمر حتى صار شيخا لبنى مخزوم وروى الكثير من كلمات النبى وتعاليمه المباركة.

وكانت أم سلمة تقول: لمّا تُوُفّى أبو سلمة استرجعتُ، وقلتُ اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيرًا منها. ثم رجعتُ إلى نفسى فتفكرت وقلتُ: ومِن أين لى خيرٌ من أبى سلمة؟ حتى أبدلنى الله خيرا من أبى سلمة، رسولَ الله ﷺ.

(١) الترمذى وأحمد فى مسنده وابن أبى شيبة.

القصة العاشرة

ماذا فعل أنس ﷺ كى يرى النبى ويخدمه؟ وكيف نالته بركته؟

كان عمر أنس بن مالك عشر سنين عندما دخل النبى المدينة، وقد تعلق قلب أنس بالنبى ﷺ جدا منذ سمع عنه.. وكان ما يقع فى قلبه عندما يسمع أحدا يقول كلمة «رسول الله» أن الرسول ليس بشرا وإنما شيئا آخر من خلق الله غير البشر.. هذا ما كان يستقر فى خياله كطفل قبل أن يلقى النبى ﷺ.. فلما رأى أنس النبى لأول مرة أحبه حبا شديدا.. وقد حفرت تفاصيل هذه المقابلة الأولى فى قلبه الصغير.. فكان يحكى هذا المشهد دائما فيقول:

كنت غلاما صغيرا لما دخل النبى إلى المدينة فسمعت الولدان يهتفون: جاء النبى جاء محمد ﷺ فخرجت أسعى بينهم تدافعنى الأقدام وأتساقط على الأرض من زحام الناس فأسمعهم يقولون: جاء رسول الله، جاء الحبيب.. ولا أرى شيئا فأشتد فى السعى وأنظر فلا أرى شيئا.. حتى صعدت جذع نخلة فنظرت فرأيته، فما رأيت أحدا شبيها به يومئذ.. وكنت أظن أن رسول الله ليس بشرا.. فرأيته رجلا مستدير الوجه كأن وجهه قطعة قمر.. شديد سواد الشعر.. فما دخل المدينة حتى أنار منها كل شىء، ولم أر يوما أحسن ولا أضوأ منه.

وظل أنس يفكر كيف يقترب من النبى؟ وكيف يكون من أصحابه وهو ما زال غلاما صغيرا؟ فذهب أنس إلى أمه أم سليم وقال لها:

يا أمى خذينى أخدم رسول الله فهو ليس له خادم، فهبينى إليه، وأنت لديك أخى سليم فهو يخدمك.

فقالت له أمه: أو تحب ذلك يا أنس؟.

فقال لها: نعم.

ففرحت أمه به ولفته فى خمارها و جعلت خمارها رداء له حتى يلقى النبى فيه.

ثم ذهبت به إلى النبى وقالت له: يا رسول الله، هذا أنس ابنى أتيتك به يخدمك، فهو لك يارسول الله[1].

فقبله النبى ﷺ ودعا له قائلا: «اللهم أطل عمره.. وأكثر ماله وولده.. واغفر له»[2].

فخدم أنس النبى ﷺ عشر سنين حتى وفاة النبى ﷺ، وقد عمر أنس فى الحياة طويلا حتى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وكثر ماله جدا فكان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين.. وكان فيه ريحان يجىء منه ريح كريح المسك.

وكثر أولاد أنس وتفرعت ذريته حتى بلغوا نحو المائتين نفرا رجالا ونساء ودفن فى حياته من أبنائه وأبناء أبنائه..وكان يقول:

دعـا لى حبيبـى، فوالله إن مـالى لكثير وأنا من أكثـر الأنصار مالا. وإن ولدى وولد ولدى يتعادون على نحو المائة.. وكان لا يعرف عددهم.

---

(١) دلائل النبوة والسيرة الحلبية وسير أعلام النبلاء وأسد الغابة.

(٢) البخارى فى صحيحه وأحمد فى مسنده وجامع الترمذي.

وأحب النبى ﷺ غلامه أنس حبا كبيرا.. وكان يناديه «أنيس» يدلله بذلك،حتى إنه أرسله فى يوم لحاجة فأبطأ أنس وتأخر على النبى جدا.. فخرج النبى ﷺ من بيته فى المساء، فرآه يلعب مع الغلمان.. فضحك النبى ﷺ وقال له: «يا أنيس، أنت هنا».. فقال أنس هاأناذا ذاهب يارسول الله.

ولم يعنف النبى ﷺ أنسا ولم يلمه على شىء فى يوم أبدا.. حتى إن أنس كان يقول:

خدمت النبى عشر سنين فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته. ولا لشىء تركته لم تركته، وإذا كلمنى أحد فى شىء أخطأت فيه يقول لهم: «دعوه، فإنما كان هذا بقدر الله»[1].

وخرج أنس فى يوم مع النبى ﷺ فأخذه النبى إلى المسجد.. وكان فى المسجد قوم يرفعون أيديهم يدعون الله.

فقال النبى ﷺ لأنس: «ترى بأيديهم ما أرى»؟.

فقال أنس: وما بأيديهم يا رسول الله؟.

فقال النبى ﷺ: «بأيديهم نور».

فقال أنس: بأبى أنت وأمى ادع الله أن يرينيه.

فدعا النبى فرأى أنس النور.. فأسرع أنس والنبى ﷺ نحوهم وهم يرفعون أيديهم[2].

---

(١) البخارى ومسلم واحمد فى المسند والطبرانى فى الكبير وابن حبان.

(٢) فضائل الصحابة والتاريخ الكبير ودلائل النبوة.

القصة الحادية عشرة

عندما أراد ابن سلام ﷺ اختبار النبى ﷺ

كان هنـاك حبر وعـالم من علماء اليهود اسمه عبد الله بن سـلام.. لما سمع بالنبى ﷺ استبعد أن يكون هو النبى الموعود المبشر به فى الكتب السـابقة وأسـفار الأنبياء لأن اليهود كانوا يظنون أنه خارج من نسلهم؛

فعزم على أن يذهب إلى النبى ليختبره باختبارات كثيرة، وأعد له أسئلة وامتحانات توافق ما عنده من علم بالكتاب المقدس.

ولما وصل ابن سلام إلى النبى ﷺ ورآه.. نظر إلى وجهه وبهره نور محياه الكريم فقال على الفور: أشهد أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب، وأسلم عند ذلك.. وترك ما كان قد أعده من سؤال واختبار.

لو لم تكـن فيه آية بينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وأحب ابن سلام النبى ﷺ جدا وطلب منه ألّا يعلم أحد بإسلامه.. ورجع ابن سلام إلى بيت عمته فقالت له:

يا بن أخى، لم احتبست على؟.

فقال لها: ياعمة كنت عند رسول الله.

فقالت له: عند موسى بن عمران؟.

فقال لها: هو أخو موسى.

قالت: هو النبى الذى يبعث آخر الزمان؟.

قال: نعم هو.

ثم ذهب ابن سلام فى اليوم التالى. إلى رسول الله وقال له: إن اليهود قوم بهت وإذا علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى.. فخبئنى عندك ثم ادعهم فاسألهم عنى.. فخبأه النبى عنده ثم أرسل إلى اليهود فقال لهم النبى: «أى رجل عبد الله بن سلام فيكم»؟ فقالوا: حبرنا وابن حبرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا فقال» أرأيتم إن أسلم»؟.

فقالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عليهم ابن سلام عند ذلك فقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

فقالوا: هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه.. فقال ابن سلام: هذا ما كنت أحذر يا رسول الله.

ورأى ابن سلام رؤيا فى منامه فحكاها للنبى ﷺ قائلاً: رأيت كأنى فى روضة خضراء جميلة واسعة، وفى وسطها عمود حديد، أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء وفى أعلاه حبل به عروة.. فقيل لى: اصعد على هذا العمود.. فقلت: لا أستطيع.

فخرج رجل ورفع ثيابى وقال لى: اصعد عليه.. فصعدت حتى أمسكت بعروة الحبل ووصلت إلى منتصف العمود، وكلما أردت أن أصعد ثانية أسقط حتى فعلت ذلك مرارا فاستيقظت وكأن العروة فى يدى.. فقال له النبى ﷺ: إن الروضة الخضراء هى الإسلام وإن العروة هى العروة الوثقى وإنه سيبقى على الإسلام حتى يموت[1].. ولكنه لن ينال الشهادة لأنه لم يصل إلى قمة العمود.

وهذا ما حدث لابن سلام: فإنه شهد كل المعارك مع رسول الله ﷺ ولم يستشهد.. ومات شيخا مسلما مؤمنا فى زمن معاوية بن أبى سفيان.

(١) البخارى ومسلم فى الصحيحين وأحمد والنسائى.

القصة الثانية عشرة

الفتى على ﷺ صقر بنى هاشم

كانت حرب بدر بمثابة إعلان عن ميلاد بطل جديد وكتابة اسم فارس من فرسان الجزيرة العربية على صفحات التاريخ.. فلم يعد هناك بيت فى جزيرة العرب بعد غزوة بدر. إلا دخلته سيرة هذا الفتى الشاب على ابن أبى طالب الذى قهر فرسانا وأسماءً كان الناس يظنونها لا تقهر.

فعلى كان حامل راية النبى ﷺ.. وكان هو الدرع الذى يتصدى أمام رسول الله.. فيرد عنه الأعداء مدحورين.. ولم يبارز على أحدا إلا هزمه. ذلك هو على بن أبى طالب الذى أعطاه النبى الراية يوم خيبر فهزها ثلاثا فأتاه بصفية بنت حيى ولم يرجع حتى فتح الله عليه.

فقد كانت كل موقعة لعلى هى بدر كبرى فى حقه لا يخرج منها إلا كالصقر الذى لا يرضى بغير العلو فى المكان. والقمم من الجبال. والسمينة من الصيد ويرتفع عن الهزيل والجيف.

فقد كان على شغوفا بمواجهة الأبطال والمتجبرين.. مسارعا إلى مبارزة رءوس القوم المعتدين ومنازلة من يتحاشاه الناس لقوته.. وهو مع ذلك يترفع عن منازلة الجبناء أو استعراض القوة على الضعفاء وقد أخذ على نفسه عهدا ألا يجهز على جريح ولا يقتل من انكشفت عورته.

ومن يتأمل على يجده أحق الناس بلقب «الفارس النبيل» فمن يخوض ساحات الحرب وينزل فى غمرات القتال ويصبح أمام عدوه وجها لوجه.

لا يبقى أمامه سوى شيئين.. إما أن يَقتل وإما أن يُقتل.. ولذلك فإن المقاتل عادة يتخلى أثناء قتال عدوه عن أى مثالية نرجسية، ويتحول إلى كائن شرس يدفع عدوه بالناب والمخلب..وإلا كان مصيره القبر إن تكرم خصمه وقام بدفنه.

وأما أن يتحلى أثناء لحظة قتاله لعدوه بمثل عليا وقيم روحية فتلك فتوة مدهشة.. وذلك ما كان يتحلى به أصحاب النبى ﷺ وتراه جليا فى صفات على بن أبى طالب.

ذلك الفارس الذى لم يمنع عدوه من الماء برغم أنهم منعوه هو وجيشه.. وما أصدق القائل الذى قال: إن عليا لم تغلبه أعداؤه وإنما غلبته أخلاقه.

وكى ترى هذه الفروسية العلوية فى أرقى معانى نبلها لابد أن تشاهد على يوم الخندق.. فى لحظة قصيرة فى وقتها،طويلة فى معانيها.. وهى لحظة لقائه بعمرو بن ود.

ذهب الوثنيون يبحثون عن طريقة لعبور هذا الخندق كى يتمكنوا من إبادة المسلمين فكان من ينزل منهم فيه ويحاول تجاوزه تنهال عليه سهام المسلمين فيردونه قتيلا فى جوفه؛ فحاولوا صنع جسر ومده عليه، ولكن المسلمين أسرعوا فرموهم بالحجارة والسهام حتى ردوهم إلى مواقعهم.

فاغتاظ الوثنيون من هذه الحيلة التى لم تكن فى حسبانهم ولم تخطر لهم ببال فَذهبوا يُكْرِهُونَ خَيْلَهُمْ على عبور الخندق بعد أن فرت منه مذعورة ولكن الخيل نفرت وتراجعت.. فقالوا فى غيظ: هَذِهِ الْمَكِيدَةُ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَصْنَعُهَا وَلا تَكِيدُهَا.

فقال بعضهم: إنّ مَعَهم رَجُلاً فَارِسِيًا يدعى سلمان. فَهُوَ الّذِى أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا.

ولما أعيتهم الحيلة عن الوصول إلى المسلمين ثار رجل منهم يدعى عمرو بن ود النجدى يطلب المبارزة من المسلمين.. وكان ابن ود من أقوى فرسان بنى عامر، تحكى عنه النوادر فى الشجاعة.. وقد بلغ من قوته أنه تنازع فى يوم مع رجل على سيف طويل المتن مقبضه من الفضة الخالصة، كل منهم يريد أخذه.. فقال له ابن ود:

بارزنى أنت وقومك جميعا.. فأينا قتل الآخر كان السيف له.

فقال له الرجل: إذا تقتلنى وتصبح أسواق قومى أكواما حطاما، ولكن نحضر لكل واحد منا فرسا، فيضرب كل واحد فرسه ضربة واحدة بالسيف على ظهره. فنرى من يوصل سيفه لأبعد موضع فى الفرس فيكون الأحق بالسيف.

فوافق ابن ود، وبدأ الرجل، فضرب فوصل السيف إلى بطن الفرس.. ثم ضرب ابن ود حتى مر بسيفه وأخرجه من أسفل جسد الفرس فقسم الفرس قسمتين.

كان هذا هو ابن ود الذى راح يصول ويجول أمام المسلمين شاهرا سيفه وهو يهتف: ألا من مبارز بالسيف يامعاشر الجبناء.. فهم على بن أبى طالب بالنهوض له وقال: أنا له يانبى الله.

ولكن النبى ﷺ قال له: «اجلس فإنه عمرو بن ود».

فراح ابن ود يكرر النداء ويقول فى سخرية منهم: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزن لى رجلا؟.

فقام على وقال: أنا له يارسول الله، فقال له النبى.. «اجلس إنه عمرو بن ود».

فصاح ابن ود يهتف قائلا:

ولـقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبـارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجـــز
إن السمـاحة والشجاعة فى الفتـــى خير الغرائز

فقام على وقال: أنا له يارسول الله، فقال له النبى ﷺ: «إنه عمرو».. فرد على قائلا: وإن كان عمرا.. فأذن له النبى ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، ثم رفع عمامته إلى السماء وهو يقول.. «إلهى أخذت عبيدة منى يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وهذا على أخى وابن عمى»[1].. ثم وضع العمامة على رأس على، وانطلق على والنبى ﷺ ينظر إليه ويدعو الله قائلا.. «اللهم أعنه عليه».. «اللهم هذا أخى وابن عمى، فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين»[2].

وهنا تلمح فى كلمات النبى ﷺ محبة لعلى تفوق محبة القائد للجندى أو التابع للمتبوع، ولكنها محبة الأصل لفرعه وحنين الكل للجزء..وهو ﷺ الذى كان يقول لِعَلِيٍّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»[3].

---

(١) مجمع الزوائد والواقدى كتاب المغازى والسير.

(٢) رواه الديلمى وأبى الفرج فى سيرة الأمين وكنز العمال.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه.

وهارون إن كان أخا موسى ووزيره.. فإن عليا هو أقرب الناس للنبى نسبا فهو ابن عمه الذى رباه وهو زوج ابنته وخزينة ذريته.. فهو من نفس النسيج الهاشمى الذى اصطفى الله منه نبيه ﷺ ولم تكن محبة النبى له لمجرد النسب والقرابة، فالنبى ﷺ هو من قضى على عصبية الجاهلية وحجب الأنساب.. ومحبة النبى لآل بيته ليست محبة الرجل بطبعه لأهله.. ولكنها محبة الصفوة التى زكاها الله فى كتابه وشهد لها بما يشرفها فى عليائه قائلا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب -٣٣

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ هود -٧٣

فهو حب لله وفى الله لأهل الله.. فعندما يكون الجسد مطهرا والعمل شريف فهو أعلى الدرجات.. ولذلك كانت محبة النبى لعلى؛ فهو مع قرابته الزكية من العترة الندية، هو أيضا من الصالحين الذين تربوا فى حجر النبوة وتغذوا على ألبان الحكمة، وتشربت روحه بآيات التنزيل.

فقد كان يسمع القرآن من النبى غضا طريا حديث العهد بالنزول وهو صبى صغير.. ويحمل سيفه فى سبيل الله مع النبى فى كل وقعة وهو فتى حديث السن، فقد جمع المجد من كل أطرافه.

وهذا ما يفسر لنا حرص النبى ﷺ عليه وشفقته ومحبته له وهو يتقدم لمبارزة عمرو بن ود أعتى فرسان العرب.. وتقدم على بن أبى طالب نحو ابن ود وهو يهتف قائلا.

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة ... والصدق ينجى كل فائز

إنـى لأرجـــــو أن أقيم عليك نائحـــــة الجـنائز
من ضربة نجـــلاء يبقـى ذكرهـــــا عند الهـزاهز

فنظر إليه ابن ود وكأنه استصغره فسأله قائلا: من أنت يافتى؟.

فأجابه على: أنا على بن أبى طالب.

فقال له ابن ود فى زهو وكبر: ارْجِعْ فَأَنْتَ غُلامٌ صغير.. إنّمَا أَرَدْت شَيْخَىْ قُرَيْشٍ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. أو من أعمامك من هو أشد منك.

فقال له على: إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت، لا يخيرنى أحد بين ثلاث خصال إلا أجيب ولو إلى واحدة منها؟.

فقال ابن ود: أجل.

قال على: فإنى أدعوك إلى الإسلام.

فقال ابن ود: نَحّ هذه.

قال على: فإنى أدعوك إلى أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكة، فإن يك محمد صادقا فأنتم أعلى به مقاما، وإن يك كاذبا كفتكم باقى العرب أمره

فقال ابن ود: إذن تتحدث نساء قريش عنى أن غلاما خدعنى، وينشد الشعراء أشعارهم أنى جبنت، ورجعت على عقبى من الحرب، وخذلت قوماً رأسونى عليهم.

وعندها قال له على: فإنى أدعوك إلى أن تنزل من على فرسك فتبارزنى راجلا - يعنى على رجليك فضحك عمرو وقال فى سخرية: إنّ هَذِهِ الْخَصْلَةُ ما كنت أظن أحدا من العرب يجرؤ على طلبها منى.. ارجع يافتى فما أحب قتلك.

فقال على: ولكنى والله أحب قتلك.

فجن عمرو من كلمة على. فقفز غاضبا من على فرسه. رافعا سيفه كأنه شعلة نار. وضرب قائمة فرسه بالسيف فعقرها. ثم أقبل يهوى نحو على بن أبى طالب فضربه بالسيف على رأسه. فأصاب السيف الدرقة فقطعها. وكاد السيف أن يصل إلى رأس على كرم الله وجهه. لولا خفة حركته وسرعة انحنائه.

فضربه على بالسيف أسفل رجله فأطاح بها فوقع ابن ود على قفاه. وجثم على بن أبى طالب فوق صدره وتصارعا فثار التراب والغبار حتى حجبهما لوقت قصير.. ثم انقشع وتجلى المشهد عن جسد ابن ود يتدحرج مقتولا حتى سقط فى الخندق.

فكبر المسلمون وسمع النبى ﷺ تكبيرهم فعرف أن على قتل ابن ود.. ثم عاد إليهم على وهم يحيطون به فرحا وأقبل على النبى ﷺ فتلقاه النبى متهللا وقال له.. «كيف وجدت نفسك معه ياعلى»؟.

فأجابه على: وجدته لو كان أهل مكة كلهم معه فى جانب. وأنا فى جانب لقدرت عليهم يارسول الله[1].

ذلك هو على بن أبى طالب الذى قال فيه النبى ﷺ» لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[2].

---

(١) تفسير الفخر الرازى والسيرة الحلبية.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه وابن ماجة فى سننه.

القصة الثالثة عشرة

دعثور ﷺ عندما أراد قتل النبى ﷺ وقصته مع السيف

وكـم من عدو أتاك منكـــرا ... فرد بفضل الله من أهل شريعتك
وكـــم من وجه أتاك مبغضـا ... فعاد بوجه مشــرق بمحبتك
وكم من سيف أراد منك غرة ... فمــا عاد إلا سيفــا لنصرتك
فأنت البحر الخضـم جميعه ... والمـاء ينبع من ندى راحتك
وأنت الشمس يشــرق نورها ... وكل الضوء من بريق أشعتك

قام الوثنيون فى مكة بتحريض قبيلة تدعى بنى ثعلبة مجاورة للمدينة على قتال المسلمين.. لأن هذه القبيلة كانت تعيش على السلب والنهب والغارات فوسوس لها المشركون أن النبى ﷺ وأتباعه أصبحوا قوة كبيرة فى العرب وأن هذا خطر عظيم عليهم.

لأنهم بذلك لن يتمكنوا من ممارسة القرصنة على القرى وقطع الطريق على القوافل لأن دين محمد يحرم السرقة والظلم.

فثار بنو ثعلبة وتجمعوا فى أعداد غفيرة وحملوا السلاح وأعدوا للهجوم على المدينة. وكان قائدهم رجل متجبر يدعى دُعْثُور بْنِ مُحَارِبٍ وكان من أشد العرب فتكا وغدرا.. وتحركوا بجمعهم حتى وصلوا فى المسير إلى موضع يسمى ذى أمر.

وبلغ النبى ﷺ هذا الخبر فَخَرَجَ فِى أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رجلا من أصحابه.. حتى إذا وصلوا إلى مضيق الخبيت شاهدوا رجلا من بنى ثعلبة قد خرج ليكون دليلا لهم فترك قومه وراءه وأقبل أمامهم بمسيرة أيام حتى يدخل المدينة قبلهم ويخبرهم كيف الأمر فيها؟ فألقى المسلمون القبض عليه وساقوه حتى أدخلوه إلى النبى ﷺ.

فلما جلس الدليل بين يدى النبى ﷺ وشاهده وسمع منه، رق قلبه كثيرا وأسلم وأخلص لله.. وقال للنبى ﷺ: يَا رسول الله إِنَّهُمْ لَنْ يُلاقُوك إِنْ سَمِعُوا بِمَسِيرك.. سوف يهَرْبُون فِى رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَأَنَا سَائِرٌ مَعَك وَدَالّك عَلَى عَوْرَتِهِمْ وأماكنهم.

وبالفعل سار الدليل أمام جيش المسلمين يدلهم على الطريق إلى أماكن وكمائن بنى ثعلبة، فَأَخَذَ بِهِم طَرِيقًا جعلهم يهبطون عَلَيْهِمْ مِنْ فوق كَثِيبٍ عالٍ.. فلما رأت بنو ثعلبة ذلك وتفاجئت بالنبى ﷺ فوقهم هَرَبَتْ مِنْهُ فى الوديان وفَوْقَ أعناق الْجِبَالِ، ولم يبق منهم رجل إلا فر هاربا.. فَلَمْ يُلاقِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ منهم أَحَدا، ولم يحب أن يتتبعهم.. إلاّ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِى رُءُوسِ الْجِبَالِ.

وعسكر المسلمون هناك ومكثوا شهرا حتى سمعت بهم القبائل، وهابهم من كان ينوى الشر والهجوم على المدينة وعادوا إلى قراهم كما تعود الحيات إلى جحورها.

وراح المسلمون هناك يصلون ويذكرون الله.. وأرسلت السماء عليهم مطرا بلت ثيابهم.. فراح بعضهم يغسل ثيابه وبعضهم يملأ قربته وبعضهم يسقى راحلته وانشغل كل واحد منهم بشأنه.

وانفرد النبى ﷺ بعيدا عنهم فنَزَعَ ثِيَابَهُ ونَشَرَهَا لِتَجِفّ فألْقَاهَا عَلَى شَجَرَةٍ، ثُمّ اضْطَجَعَ تَحْتَهَا ملتحفا بردائه.. كل ذلك وَالأَعْرَابُ الهاربون من بنى ثعلبة يَنْظُرُونَ من فوق الجبال البعيدة إلَى كُلّ مَا يَفْعَلُ.

فَقَالَتْ الأَعْرَابُ لِدُعْثُور، وَكَانَ زعيمهم وَأَشْجَعَهم: هاهو قَدْ أمكنك قتل مُحَمّدٌ وَقَدْ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ. حَيْثُ إنْ استغاث بِأَصْحَابِهِ لَمْ يلحق أن يُغَثْ حَتّى تَقْتُلَهُ.

فَاخْتَارَ دعثور سَيْفًا مِنْ سُيُوفِهِمْ صَارِمًا، ثُمّ أَقْبَلَ يتخفى ويتسلل مُشْتَمِلاً عَلَى السّيْفِ حَتّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النّبِىّ ﷺ وأشهر سيفه عاليا، ثم قَالَ:

يَا مُحَمّدُ، مَنْ يَمْنَعُك مِنّى الْيَوْمَ؟.

فقَالَ النبى ﷺ: «اللّه».

فَارتعد لها دعثور ووَقَعَ السّيْفُ مِنْ يَدِه، فَأَخَذَهُ النبى ﷺ وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وقَالَ له: «مَنْ يَمْنَعُك مِنّى الْيَوْمَ»؟.

فقَالَ دعثور: لا أَحَدَ يامحمد فكن خير آخذ.

فعفا عنه النبى ﷺ وسامحه وأعطاه سيفه... فقَالَ دعثور: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنّك رَسُولُ اللّهِ، وَاللّهِ لا أُكْثِرُ عَلَيْك جَمْعًا أَبَدًا.

ثُمّ مضى يمشى، ثُمّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ ثانية على النبى ﷺ، فَقَالَ له: أَمَا وَاللّهِ لأَنْتَ خَيْرٌ مِنّى.. ثم أَتَى قَوْمَهُ، فتعجبوا منه وقَالُوا:

أَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَك قتله وَالسّيْفُ فِى يَدِك؟.

فقَالَ لهم: وَاَللّهِ كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنّى نَظَرْت فإذا رَجُلٍ معه أَبْيَض طَوِيل دَفَعَ فِى صَدْرِى فَوَقَعْت لِظَهْرِى وسقط سيفى، فَعَرَفْت أَنّهُ مَلَكٌ من

الملائكة وَشَهِدْت أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ، وَاَللّهِ لا أُكْثِرُ عَلَيْهِ أبدا، ولا أعين عليه أحدا.. وراح يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى الإِسْلام.

وَأنزل الله على نبيه فى الكتاب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ المائدة -١١

ثم رجع إلى النبى ﷺ وكان جالسا فى المسجد فقال:

يا محمد لقد كنت وما وجه أبغض إلى من وجهك، ولا دين أبغض إلى من دينك، ولا بلد أبغض إلى من بلدك، ثم لقد أصبحت وما وجه أحب إلى من وجهك، ولا دين أحب إلى من دينك، ولا بلد أحب إلى من بلدك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

فقال النبى ﷺ «ولماذا لم تسلم وأنت بين يدى»؟.

فأجاب: خشيت أن تتحدث العرب أن محمدا يجبر الناس على الدخول فى الإسلام بالسيف[1].

(١) السيرة الحلبية ومغازى الواقدى ودلائل النبوة.

القصة الرابعة عشرة

جبار بن سلمى ﷺ من قاطع طريق إلى صحبة النبى ﷺ

جبار بن سلمى.. اسمه الأول يوحى بالقوة والتجبر.. واسمه الأخير سلام وتسليم.. كذلك كان جبار.. رجلا قاطع طريق لا مأوى له.. يعيش فى عراء الصحراء.. وقد اكتسب من طباع البادية القاسية ما جعل قلبه أشد من الحديد وأقسى من الصخر.

ارتضى جبار لنفسه أن يكون تابعا لطاغية من طغاة العرب وسفاح متمرد وهو عامر بن الطفيل.. فكان جبار وزيره وسيفه الذى يقتل به ويسفك الدماء دون أدنى تفكير.. فهو يقطع الرقاب ويمثل بالأجساد مقابل حفنة من المال أو سلب متاع المسافر واقتناص راحلته.

وأحيانا يقتل بلا مقابل، إذ صار القتل وإزهاق الأرواح طبعا فيه يستلذ بممارسته.. لكن لأن لكل إنسان من اسمه نصيبا فقد كانت عاقبة جبار بن سلمى أن تحول لسلام وهداية بل وصار صحابيا جليلا من صحابة رسول الله.

وإن كان تحوله ذلك يعد معجزة من معجزات رسول الله ﷺ، فجبار كان لمسة من لمسات النبى التى كان يلمس بها أعتى الرجال وأشدهم كفرا فيحولهم إلى نساك وزهاد يذوبون حبا ويفيضون رحمة ويجعلون من البطولة عنوانا لهم.

تلك اللمسة المحمدية التى تحمل قوة النبى فى الهداية وتظهر فتوته فى صهر معادن الرجال وإخراج أطيب ما فيها.. فليس العالم القوى هو الذى يخطب فى أناس مؤمنين يذهبون إليه فى يوم الجمعة يلبسون ثيابا بيضا ويضعون العطر ويجلسون ليستمعون له.. وإنما العالم القوى الجهبذ هو الذى يأتى بالعصاة وقطاع الطرق فيجعل منهم تائبين مهتدين فتكون له القوة أن يهدى بأمر الله.. ولذلك يقول رب العزة.. ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ السجدة -٢٤

وكما يروى فى الحديث القدسى (من رد إلى شاردا كتبته تحت العرش جهبذا.. ومن كتبته تحت العرش جهبذا لا أعذبه أبدا).

والآن فلنرحل سويا لنشاهد جبار السلمى ﷺ ونعرف قصته ونصحبه فى رحلته من قطع الطريق إلى صحبة النبى ﷺ.

كان ذلك عندما قَدِمَ رجل يدعى عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أبى الْبَرَاءِ عَلَى النبى ﷺ فى المدينة وكان أبوه أبو البراء شيخا كبيرا مريضا،فأرسل ابنه وابن أخيه. إلى النبى ﷺ.. وقال ابنه للنبى ﷺ : إِنَّهُ قَدْ بَعَثَ أبى يَسْتَشْفِيكَ مِنْ وَجَعٍ بِهِ ـ وَكَانَتْ بِهِ مرض الدَّبَيْلَةُ، فَتَنَاوَلَ النَّبِىّ ﷺ قطعة حجارة مِنْ الأَرْضِ فَتَفَلَ فِيهَا من ريقه الشريف، ثُمَّ نَاوَلَهُ إياها وَقَالَ له: «دُفْهَا بِمَاءٍ، ثُمَّ اسْقِهَا إيَّاهُ».. فَأرسلوها إليه وفَعَلَ ذلك فَبَرِئَ وشفى من مرضه.

فأقبل أبو البراء إلى النبى ﷺ ومعه بعض الهدايا فَأَهْدَى لِلنبى ﷺ فَرَسَيْنِ وَرَاحِلَتَيْنِ، فرفض النبى ﷺ أن يأخذ منه شيئا وراح النبى ﷺ يدعوه إلى الله و يعرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ.. فأنصت أبو البراء واستحسن حديث النبى ﷺ ولكنه لَمْ يُسْلِمْ، وَلَمْ يُبْعِدْ، وَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ إنّى أَرَى أَمْرَك هَذَا أَمْرًا حَسَنًا شَرِيفًا، وَقَوْمى خَلْفِى كثير، فَلَوْ أَنَّك بَعَثْت معى نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِك إليهم لَرَجَوْت أَنْ يُجِيبُوا دَعْوَتَك وَيَتّبِعُوا أَمْرَك، فَإِنْ هُمْ اتّبَعُوك فَمَا أَعَزّ أَمْرَك.

فَقَالَ له النبى ﷺ: «إنّى أَخَافُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ».. لأنه كان فيهم أعراب أهل غدر وخيانة.. ولكن أبو البراء تعهد للنبى ﷺ بحمايتهم وقَالَ: لا تَخَفْ عَلَيْهِمْ، أَنَا لَهُمْ جَارٍ أَنْ يَعْرِضَ لَهُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ.

وَكَانَ هناك مِنْ الأَنْصَارِ سَبْعُونَ رَجُلاً مجتهدين فى العبادة يُسَمّونَ الْقُرّاءَ لكثرة قراءتهم للقرآن وتعليمهم إياه.. وكَانُوا إذَا أَمْسَوْا أَتَوْا إلى واد فى نَاحِيَةً مِنْ نواحى الْمَدِينَةِ فَذكروا الله وتَدَارَسُوا القرآن وَصَلّوْا، حتى إذا جاء وجه الصّبْحَ ذهبوا يبحثون عن الماء العذب وَيحَطِبُون مِنْ الْحَطَبِ، ثم يجيئون بذلك إلَى حِجْرِ النبى ﷺ وأهل الصفة فى مسجده.

فتحمس هؤلاء القراء إلى الخروج مع أبى البراء لدعوة أهل نجد إلى الله، وقد تمنوا أن يلقوا من الشهادة فى سبيل الله كما لقى أصحابهم الذين أرسلوا من قبل النبى ﷺ واستشهدوا فى مكة.

وتخوف النبى ﷺ عليهم من رجل اسمه عامر بن الطفيل،كان هذا الرجل من أعتى قطاع الطرق، معروف بالغدر والبطش بين الأعراب ومعه جموع تخصصوا فى السلب والنهب والقتل وقد جعلوه زعيما لهم.

فكتب له النبى ﷺ رسالة وجعلها مع أصحابه القراء يعطونها له إذا مروا به فى سفرهم.

فلما ارتحلوا من المدينة وبلغوا فى المسير عند بئر معونة وجدوا قاطع الطريق عامر بن الطفيل فى جمع غفير من عصابته ومعه تابعاه المخلصان

الأول وزيره جبار بن سلمى والثانى خادمه أربد.. الرجلان اللذان لا يعرفان فى حياتهما سوى القتل وسفك الدماء ويعيشان فى البرية مع الذئاب والوحوش.

فى ذلك الوقت كان جبار له مدة طويلة فى البرية متنكبا قوسه منتظرا فريسته التى ستمر عبر الوادى الذى هو فيه.

ينظر إلى سيفه المتعطش للدماء وكأنما يعده بأن يسقيه قريبا من أول ضحاياه الذين سيلقيهم القدر للمرور من طريقه..ثم يسلب ما مع ضحيته من مال أو تجارة أو ذهب ويقدمها لزعيمهم عامر الذى يقوم فى النهاية بتوزيع ذلك النهب عليهم.

وتقدم أحد القراء وهو ابن ملحان بالكتاب الذى فيه رسالة النبى ﷺ إلى قاطع الطريق عامر بن الطفيل.. ولكن عامر ألقى الكتاب على الأرض ولم يقرأ الرسالة ثم وثب على الصحابى ابن ملحان فهوى بسيفه عليه فقتله. وصاح بعصابته فأحاطت بالقراء وشكلوا حولهم دائرة من السيوف والرماح.

فصرخ فيهم ابن أبى البراء إن هؤلاء القلة من المسلمين معهم عهد وجوار من أبيه أبو البراء.

فلم يبال عامر بهذا الجوار برغم أن أبا البراء يعتبر من عمومته. وقال لابنه إن أباك أبا البراء شيخ قد خرف.. ثم أمر قبيلته بنى عامر بالهجوم معهم على القراء ولكن قبيلته رفضت الخروج معه حفاظا على جوار أبى البراء. فقال لهم: أتعصون أمرى وأنا سيد العرب وفارس البطحاء.. لتعلمن طاعة القبائل لى.

فأمر عامر القبائل القريبة منهم وهم قبيلة عصية ورعل أن يهجموا على القراء ويشاركوا عصابته فى قتلهم، فاستجابوا له وكانوا يطيعون أمره مخافة بطشه وغدره.

وكانت مجرد الإشارة من يد عامر بن الطفيل إلى عصابته كافية لهم لكى يندفعوا كالطوفان الهادر بقيادة جبار فيقتلون من يقابلهم دون أن يعرفوا حتى سبب قتلهم لهذه الأرواح.

فهجمت كل هذه الجموع على القراء المسلمين الذين أمسكوا سيوفهم وراحوا يصدون هذا الاعتداء البربرى حتى سقطوا جميعا شهداء.

واندفع جبار بسيفه يسقيه من دماء المسلمين ويقتلهم بكل ضراوة حتى شاهد رجلا ممن تبقى من القراء وهو عامر بن فهيرة الذى كان واقفا كالجبل يقرأ القرآن فى ثبات وطمأنينة والموت يعصف بالرءوس من حوله.. حتى إن كل عصابة الشر كانوا يتهيبون الهجوم عليه لثباته العجيب.

فوثب عليه جبار من خلفه وطعنه برمحه فى مقتل، فصاح ابن فهيرة قائلا: فزت والله.. وهنا تعجب جبار وسأل نفسه ما معنى كلمة هذا الرجل فزت والله؟ وأى فوز هذا وليس به إلا القتل؟!.

وكانت لكلمات ابن فهيرة ومشهده أثر عجيب فى نفس جبار.. فقد اعتزل المعركة وقتها وجلس فى ناحية يتفكر فى كلمة هذا الرجل الذى يقضى أنفاسه قتيلا والدماء تتفجر من جسده وهو راض سعيد.

لابد أن فى الأمر شىء ما غير مفهوم.. شىء لم تتعود عليه الطباع البشرية التى ترتعد من الموت وتكره القتل.. إنه شىء غريب خارق لطباع الإنسان المألوفة.

وهكذا عرف الفكر طريق عقل جبار.. وهو الرجل الذى كان لا يفكر ولا يشغل باله بشىء ولم يكن من طبعه التأمل ولا تدبر العواقب.. ولكن شخصية عنيفة مثل شخصية جبار لا يحركها إلا حدث قوى خارق كى يؤثر فى طبيعته.

استمر جبار فى تعجبه وفكرته وكأنه لم يعد يشعر بما يجرى حوله فى أرض المعركة.

فقد اندفع أصحابه اللصوص نحو جثمان بن فهيرة يريدون التمثيل به، ولكن الله صنع آية أعجزتهم فرفع جسد بن فهيرة إلى أعلى فى الهواء حتى غاب عن عيونهم وهم ينظرون.. فأصابتهم الدهشة وقال بعضهم: سمعنا أن محمدا ساحر فعسى أن يكون هذا من سحره بأصحابه.. ووقف جبار مذهولا لا ينطق وهو يرى هذه الآية العجيبة.

فلم يكن ارتفاع جسد ضحيته أمامه فى الهواء بأقل عجبا من كلمته وهو يلفظ أنفاسه.

وكان آخر من تبقى حيا من القراء هو عروة بن الصلت فحَرصَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُؤَمِّنُوهُ ولا يقتلوه وكانت تربطه قرابة بعامر. فَأَبَى أن يقبل منهم أمانهم وَقَالَ لهم: لا أَقْبَلُ لَكُمْ أَمَانًا وَلا أَرْغَبُ بِنَفْسِى عَنْ مَصْرَعِ أَصْحَابِى، ثم رفع سيفه يحاربهم وحده.. وَقَالَ حَيْنَ أُحِاطُوا بِهِ.

اللَّهُمَّ إنّا لا نَجِدُ مَنْ يُبَلِّغُ رَسُولَك عنا السّلامَ غَيْرَك، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ منا السّلامَ.

ودافع هجمتهم وحده حتى استشهد.. فَأَخْبَرَ الملك جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ النبى بِذَلِكَ. وأنزل الله على نبيه ﷺ فى شأنهم قرآنا.

(بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ) وكانت هذه الآية مما نسخه الله بآيات أخرى[1].

فحزن النبى ﷺ لمقتل أصحابه بسبب جوار أبى البراء وقال: «هذا عمل أبى البراء قد كنت لهذا متخوفا كارها».. ثم دعا ربه قائلا: «اللَّهُمَّ اهْدِ بَنِي عَامِرٍ، وَاطْلُبْ خُفْرَتِي مِنْ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ».. «اللَّهُمَّ اُشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِبَنِي لِحْيَانَ وَزَعْبٍ وَرِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّة؛ فَإِنَّهُمْ عَصَوْا اللهَ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِبَنِي لِحْيَانَ وَعَضَلَ وَالْقَارَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - فِي مكة غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللهُ».. ثُمَّ سَجَدَ النبى ﷺ وقَالَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ مرة ـ يقنت بذلك.

وَفِي هذه الأثناء كان هناك اثنان من المسلمين فى سفر لهما وهما الْحَارِثُ، وَعَمْرُو بن أمية، وَقَدْ وصلا إلى موضع قريب من مكان قتل القراء المسلمين.. فجلسا تحت شجرة كى يستريحا.. فلاحظا أن الطير تحوم حول وادى بمقربة منهما.

فارْتَابَا لعُكُوفِ الطَّيْرِ عَلَى ذلك الموضع لأن الطيور الجارحة كانت تحوم حول المكان الذى فيه قتلى.

فقال أحدهم: قُتِلَ وَاللَّهِ أَصْحَابُنَا، وَاللَّهِ مَا قَتَلَ أَصْحَابَنَا إلاَّ أَهْلُ نَجْدٍ.. ثم صعد عَلَى هضبة مرتفعة مِنَ الأَرْضِ لينظر، فَإِذَا به يرى أَصْحَابَهُمْ صرعى فى دمائهم وَإِذَا الْخَيْلُ وَاقِفَةٌ حول جثثهم، فَقَالَ الْحَارِثُ لعمرو: مَاذا نصنع؟.

---

(١) مغازى الواقدى وصحيح البخارى.

فأجابه عمرو: أَرَى أَنْ أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُخْبِرَهُ بما حدث.

ولكن الْحَارِثُ قال: مَا كُنْت لأَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ إخوتى.

فَذهبا سويا إلى العدو، فأمسكوا بهما وأخذوهما أسرى وكانوا قد شبعوا من الدماء ولم تعد لديهم رغبة فى المزيد، فقالوا للحارث: مَا تُحِبّ أَنْ نَصْنَعَ بِك، فَإِنَّا لا نُحِبّ قَتْلَك؟ ولكن الحارث لم يتمالك نفسه عندما رأى أجساد إخوانه ملقاة على الأرض غارقة فى دمائهم الزكية، فاندفع فيهم وهو يصيح ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه أصحابى.

ثم نجح أن يسترد سيفه منهم وقاتلهم حتى قتل منهم اثنين ثم تجمعوا عليه بالرماح حتى تعلق جسده فيها فقتلوه.. وأما عمرو فقد استسلم لهم فلم يقاومهم.. فاقتاده عامر بن الطفيل أسيرا ثم جذ شعر رأسه إمعانا فى إذلاله.. ومضى به على جثث أصحابه القتلى وَقال له: تَعْرِّفُ إلى أَصْحَابَك وأخبرنى عن كل قتيل من أى قبيلة؟ فطاف عليهم عمرو وتعرف إليهم جميعا.. فَقَالَ له عامر بن الطفيل: هَلْ تَفْقِدُ مِنْهُمْ أَحَدا؟، فأجابه عمرو: نعم، أَفْقِدُ مَوْلًى لأَبِى بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ فُهَيْرَةَ.

فَقَالَ عامر بن الطفيل: كَيْفَ كَانَ حال هذا الرجل فِيكُمْ؟ فأجابه: كَانَ مِنْ أَفْضَلِنَا وَمِنْ أَوّلِ أَصْحَابِ نَبِيّنَا.. فقالَ عامر وهو يشير إلى تابعه جبار: أَلا أُخْبِرُك خَبَرَهُ، هَذَا الرجل طَعَنَهُ بِرُمْحِهِ، ثُمّ انْتَزَعَ رُمْحَهُ منه، فَذَهَبَ بِالرّجُلِ عُلُوًا فِى السّمَاءِ حَتّى أصبحنا وَحق آلهتنا مَا نرَاهُ.

فأقبل عليه جبار بن سلمى يتحدث وكأنما وجد فى عمرو بغيته فقال:

إنى طعنته بالرمح بين كتفيه حتى رأيت سنان الرمح يخرج من صدره فسَمِعْته يَقُولُ: فُزْت وَاَللَّهِ. فَقُلْت فِى نَفْسِى مَا قَوْلُهُ فُزْت؟.. كانت كلمات جبار لعمرو تحمل اللهفة والتشوق الواضح وكأنه يبحث عن تفسير لهذه الكلمات ويتمنى أن يجد جوابا لما يدور فى ذهنه من أسئلة.

فأجابه عمرو قائلا وقد ذرفت من عينيه الدموع: فاز بالجنة، ذَلِكَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رحمه الله.

سمع جبار كلمة.. الجنة.. فأخذته إلى أجواء بعيدة.. وحلقت به فى عالم غيبى نقله من مرارة واقعه الكريه..لأول مرة يشعر جبار بعالم آخر غير الأرض وغير عالم الدماء والجثث الذى لا يعرف سواه.. إنه عالم السماء.. وقد صدق ظنه بأن فى الأمر شيئا غير عادى.. شيئا غير مألوف فى عالم الطبيعة المادية ومجتمع الغاب الذى يعيش فيه.. فوقع الإسلام فى قلب جبار وملأت أنوار الإيمان صدره فاعتزل زعيمه عامر ابن الطفيل وجلس فى ناحية بعيدة عن المعسكر يعيد التفكير فيما حدث.

وأما عمرو فقد أطلقوا صراحه ومضى فى طريقه بلا راحلة حتى مشى على قدميه فى الصحراء أربعة أيام.. حتى أنهكه التعب ووجد ظل ربوة فنزل يستريح تحتها، وبينما هو قد ارتمى فى ظلها يلتقط أنفاسه، رأى اثنين مسافرين مقبلين عليه يريدان أن ينزلا أيضا فى هذا الظل.

فسألهما عمرو: من أنتما؟.

فقالا له: نحن من بنى عامر قوم عامر بن الطفيل.

فما أن سمع عمرو هذه الكلمات وعرف أنهما من قوم هذا السفاح إلا وتمثلت فى مخيلته مشهد أصحابه القراء الصالحين وهم صرعى

مضرجين فى الدماء.. وهاهى ذى الفرصة قد واتته كى يثأر لهم بعض الشىء، فهجم على الاثنين فقتلهما.. وهو يظن بذلك أنه فعل شيئا سوف يرضى عنه النبى ﷺ، وكان هؤلاء الاثنان من بيوت بنى عامر التى صنع معهم النبى قبل ذلك عهد أمان وجوار.

فلما وصل عمرو إلى المدينة وأخبر النبى ﷺ بما حدث وأنه قتل هذين الرجلين من قبيلة السفاح عامر بن الطفيل ثأرا للقراء الشهداء، غضب النبى ﷺ جدا وعزم أن يدفع ديتهما مثل دية المسلمين الأحرار لا تنقص شيئا وقال النبى ﷺ لعمرو فى لهجة الغاضب: «بِئْسَ مَا صَنَعْت، قَتَلْت رَجُلَيْنِ كَانَ لَهُمَا مِنِّى أَمَانٌ وَجِوَارٌ، لأَدِيَنَّهُمَا - يعنى لأدفعن ديتهما».

ووصل ابن أبى البراء إلى أبيه، فلما رآه مقبلا عليه وحده وليس معه أحد من القراء أصحاب النبى ﷺ ارتاب أبوه فى الأمر فسأله قائلا.

ما فعلت ذمة أبيك وجواره؟.

فأجابه ابنه وهو يشعر بالمرارة والخزى: نَقَضَتْهَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ وطَعْنَةٌ بِرُمْحٍ.. ثم قص على أبيهِ ما حدث فَشَقّ عَلَيْهِ مَا فَعَلَ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ. وَمَا صَنَعَ بِأَصْحَابِ النّبِىّ ﷺ.

فَقَالَ فى حسرة: أَخْفَرنِى فِى ذمتى ابْنِ أَخِى مِنْ بَيْنِ بَنِى عَامِرٍ وأخزانى فى جوارى، وَأنا لا حَرَكَةَ بِى مِنْ الْكِبَرِ وَالضّعْفِ.

ثم جمع أبو البراء بعضا من قومه فأركبوه جمله وركب ابنه معهم وانطلقوا حتى لحقوا بعامر بن الطفيل فتقدم ابن أبى البراء على فرسه فطعن عامر برمحه طعنة طائشة لم تصب سوى ثيابه. فتَصَايَحَ النّاسُ وغضب أربد تابع عامر وأراد قتل ابن أبى البراء وأبيه، فَقَالَ لهم عَامِرُ ابْنُ الطّفَيْلِ: إنّهَا لَمْ تَضُرّنِى، إنّهَا لَمْ تَضُرّنِى، وَقَدْ عَفَوْت عَنْ عَمّى.

فاجتمع شيوخ قومه عليه يقولون له: يا عامر إن الناس قد أسلموا حتى العتاة منهم فادخل فى الإسلام.. فرد عليهم عامر قائلا: لقد كنت على وشك أن تتبع العرب عقبى، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟.

فأخبروه بأن النبى ﷺ قد دانت له المدينة وأكثر قبائل العرب.. فانتوى عامر أن يذهب معهم للنبى ﷺ وأن يساومه على أن تكون له زعامة العرب بعد النبى ﷺ أو أن يتخلص منه فيقتله.

فانطلق وفد بنى عامر شبابا وشيوخا ومعهم عامر بن الطفيل، وأربد ابن مقيس، وجبار بن سلمى، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم، وقدم عامر معهم وهو ينوى الغدر بالنبيﷺ.

وكانت هناك عندهم بعض المخاوف أن ينتقم منهم النبى ﷺ جزاء لما فعلوه مع أصحابه. ولكن أبى البراء طمأنهم قائلا: إن محمدا من أحسن الناس خلقا وهو يكرم أضيافه ولا يغدر بمن أتاه..فلما وصلوا إلى المدينة ودخلوا على النبى ﷺ أعطاهم أمانا وأكرم ضيافتهم.. فما أن وقعت عين جبار على النبى ﷺ وملأ نظره من هيبته ونوره حتى انطلق من بين قومه.

فجلس إلى النبى ﷺ وأعلن إسلامه ثم ذهب يخبر النبى ﷺ بما رأى من مقتل ابن فهيرة وكيف أنه ندم على ذلك،وأنه شاهد رفعه إلى السماء علوا، فتبسم له النبى ﷺ ولم يعاتبه وقال له معلما «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَارَتْ جُثَّتَهُ وَأَنْزَلَ عِلِّيِّينَ»[1].

وأحس جبار بأن الرحمة تغسله وأن روحا جديدة تتخلل إلى جسده، فبكى وسالت دموعه من عينه التى كانت لا تعرف الدموع.. وأعلن

(١) مغازى الواقدى والسيرة لابن هشام ودلائل النبوة للبيهقى.

إنه سيمكث بين يدى النبى ﷺ ولن يعود إلى ما كان عليه من ظلم.. ولن يرجع إلى الأرض التى كان يعيش فيها على قطع الطريق، وقد وجد طريقا جديدا نحو السماء.. فكبر المسلمون.

طلقت أفواه بنى عامر وعصابته يرددون الشهادتين وقد آمنوا بالله ورسوله بعد أن غزا النور المحمدى قلوبهم.

فكاد عامر أن ينفجر غيظا وحقدا، بعد أن رأى قومه وأتباعه قد تفلتوا من بين يديه، وها هو ذا جبار وزيره ورفيقه فى الفساد يتركه ويلحق بركب النبى.

فذهب عامر يساوم النبى ﷺ، وقد ظن أن الأمر ملك دنيا، وغنائم توزع.

فقال عامر: يا محمد ما تجعل لى إن أسلمت؟.

فقال النبى ﷺ.. «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم».

فقال عامر: أتجعل لى الأمر من بعدك إن أسلمت فأكون خليفتك؟.

فأجابه النبى.. «ليس ذلك لك ولا لقومك».

فقال عامر: أسلم على أن لى الوبر ـ يعنى ملك الصحراء ولك المدر ـ يعنى ملك المدينة؟.

فأجابه النبى ﷺ.. «لا».

فقام عامر بن الطفيل من بين يدى النبى وهو أشد غضبا وحقدا، واختلى بتابعه أربد وقال له.

يا أربد إنى سأشغل عنك وجه محمد بالحديث، فإذا رأيتنى فعلت ذلك فاضربه بالسيف.

فقال أربد: أفعل، واتفقا على ذلك، فأقبلا راجعين إلى النبى مرة ثانية.

فقال عامر للنبى ﷺ: يامحمد خالنى.

فقال النبى ﷺ: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده».

فكرر عامر كلامه قائلا: يامحمد خالنى.

فأجابه النبى ﷺ «لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له».

وأخذ عامر يكرر هذا الكلام على النبى ﷺ وينتظر من أربد ما كان أمره به، فوجد أن أربد لا يفعل شيئا، فلما رأى عامر أن أربد لا يتحرك خطوة من مكانه وأن ما دبره قد فشل، قال للنبى ﷺ فى غضب.

أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا، ولأربطن بكل نخلة فرسا، ولأغزونك بألف فارس.

فقال النبى ﷺ: «يمنعك الله، اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت».

فلما ولى عامر وخرجوا من عند النبى ﷺ قال عامر بن الطفيل لتابعه أربد: أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخاف منه إلا أنت، ولا أخافك بعد اليوم أبدا..فقال له أربد: تعست لا أبا لك، لا تعجل على، والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا رأيتك دخلت بينى وبين الرجل، حتى إنى لا أراه وما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟.

وأنزل الله على نبيه فى الكتاب يخبره بهذا الحفظ الإلهى... ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد -١١

ثم خرج وفد بنى عامر من المدينة راجعين إلى بلادهم، وبينما هم فى الطريق نزل عامر بن الطفيل عند امرأة من بنى سلول فبات عندها،وكانت بنو سلول أخس العرب وأحقرها.. فأرسل الله على عامر الطاعون فى رقبته، فظهرت غدة فى عنقه فخنقته،فلم يستطع البلع ولا التنفس بسببها أياما حتى شعر بأنه سيموت منها.. فأخذ يقول متحسرا وهو يتحسس هذه الغدة فى عنقه: غدة كغدة الإبل، وموت فى بيت سلولية، أهذه نهايتك ياعامر.. فشعر بالعار أن يموت هذه الميتة الحقيرة وهو من فرسان العرب وأقواهم.. فأحضر فرسه وتحامل على نفسه حتى ركبه، كى يموت عليه،ولا تقول عنه العرب أنه مات فى فراشه كالعجائز والجبناء.. فمضى به فرسه وهو مترنحا فوقه فلم يتمالك توازنه حتى سقط من عليه ميتا[1].

وهكذا انتهى اسم عامر بن الطفيل بأخس موتة وأسوأ خاتمة وبقى جبار السلمى اسم عندما يذكر تنطق الأفواه قائلة.. رضى الله عنه.

(١) مغازى الواقدى والسيرة لابن هشام ودلائل النبوة للبيهقى والبداية والنهاية لابن كثير.

القصة الخامسة عشرة

جابر رضي الله عنه والبركة المحمدية في الجمل والتمر والنمارق

بينما المسلمون يكملون مسيرهم راجعين نحو المدينة من إحدى الغزوات.. لاحظ النبى ﷺ أن جابرا قد تأخر عن الركب بسبب ضعف جمله وبطئه حتى إنه كان يساوم الصحابة على بيعه.. فلم يكن أمامه سوى أن يبيعه أو أن يأخذ ما عليه من ماء وزاد ويتركه وجبة دسمة للذئاب ووحوش البرية.. فتخلف النبى ﷺ عنهم حتى لحق به جابر فقال له النبى ﷺ: «مالك ياجابر»؟ فأجابه جابر: يارسول الله أبطأ بى جملى هذا، فهو عليل.

فأناخه النبى ﷺ ثم تناول إناء فيه ماء ونفث فيه ثم رش منه بيده على رأس الجمل وظهره،وأخذ النبى ﷺ عصا صغيرة كانت مع جابر فنخس بها الجمل نخسة خفيفة ثم قال لجابر: «ارْكَبْ يَا جَابِرُ».

فما أن ركبه جابر حتى انطلق الجمل بقوة مسرعا، لدرجة أن جابر كان يريد أن يمسك بخطامه فلا يقدر عليه.. وصار يجرى بين يدى الإبل حتى أنه قدامها يسير.. فنادى النبى ﷺ جابر قائلا: «كيف ترى بعيرك»؟.

فقال جابر: بخير قد أصابته بركتك[1].

(١) مسلم فى صحيحه والبخارى عن أبى نعيم والبيهقى فى الدلائل والسيرة لابن هشام والمغازى للواقدى.

ثم راح النبى ﷺ يخاطب جابرا مباسطا إياه فقال له.. «أتبيعنى جملك هذا ياجابر»؟.

فأجابه قائلا: بل أهبه لك يارسول الله.

فقال النبى ﷺ.. «لا ولكن بعنيه غفر الله لك».

فابتهج جابر من أجل هذا البسط الذى وجده فى الحوار مع النبى ﷺ فقال له: فسمنيه يارسول الله - يعنى ساومنى على ثمنه - فقال له النبى ﷺ «قد أخذته بدرهم».. فقال جابر وقد غلبت عليه روح الدعابة.

لا إذن تغبننى يارسول الله.

فقال النبى «فبدرهمين»؟.

فقال جابر: لا.

وقد شعر جابر بأن جمله قد أصبح سلعة مرغوب فيها بعد أن مسها النبى بيده وبركته، فراح يتمادى فى الدعابة مع نبيه ﷺ ويعتز ويزهو بجمله ويطلب من النبى ﷺ الزيادة فى هذه الصفقة التى بسطت له الأنس والضحك فى الكلام مع النبى ﷺ حتى قيل إن النبى زاده خمسا وعشرين مرة وفى كل مرة يقول له: «غفر الله لك».. وجابر يرفض كى يستزيد من استغفار رسول الله ﷺ والاستئناس بالحوار معه، فكان جابر يقول: استغفر لى رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرة.

حتى بلغ النبى ﷺ فى الزيادة إلى أوقية فقال له النبى.

«أفقد رَضِيت»؟.

فَأجابه: هُوَ لَك يارسول الله.

وهم جابر أن ينزل من عليه ،لكن النبى ﷺ قال له:
«فَظَهْرُهُ لَك حَتّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ».

ولما لاحت لهم معالم المدينة قال النبى ﷺ له: «ياجابر هل تزوجت بعد»؟ فأجابه: نعم يارسول الله.

فسأله النبى ﷺ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا»؟.

فَأجابه: بل ثَيِّبًا.

فَقَالَ النبى ﷺ: «هلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُك».

فقال جابر: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِى وَأُمّى أنت، إنّ أَبِى أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ.فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن.. ولكن أردت امرأة تقوم عليهن وتمشطهن، فتَزَوّجْت امْرَأَةً جَامِعَةً تَلُمّ شَعَثَهُنّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنّ.

فقال له النبى ﷺ: «بارك الله لك»، «أصبت، ونعم ما رأيت»، «إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك».. «إنّا لَوْ قَدِمْنَا صِرَارًا وهو موضع على مداخل المدينة أَمَرْنَا بِجَزُورٍ – ناقة فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَسَمِعَتْ بِنَا فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا».

وقد أراد النبى ﷺ بذلك أن يدخل السرور على قلب جابر فيصنع له وليمة لأنه لم يكن له وليمة فى عرسه وحتى تسمع زوجته بقدومه فتستعد للقائه وتفرش له النمارق فقَالَ جابر: وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَنَا نَمَارِقُ والنمارق هى الوسائد المرتفعة الناعمة فَقَالَ له النبى ﷺ: «أَمَا إنّهَا سَتَكُونُ لكم نمارق فَإِذَا قَدِمْت فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيِّسًا».

فلما وصلوا إلى صرار أمر النبى فنحروا ناقة وأقاموا هناك وأقبلت الصحابة تهنئ جابرا بزواجه.. ولما ذهبوا ليدخلوا المدينة قال لهم النبى ﷺ: «امهلوا حتى تدخلوا ليلاً أى عشاء لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

ومضى جابر إلى زوجته فأخبرها بما دار بينه وبين رسول الله ﷺ وقال لها: قَدْ أَمَرَنِي النَّبِيّ ﷺ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً كَيِّسًا، فقَالَتْ: سَمْعًا وَطَاعَةً لأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَافْعَلْ.

فلما أصبح جابر أخذ جمله وذهب به إلى النبى ﷺ فأناخه وربطه على باب حجرته، وجلس جابر ينتظر خروج النبى ﷺ.. فلما خرج النبى ﷺ ورأى الجمل على بابه قال: «ما هذا»؟.

فقالوا: إنه جمل أتى به جابر يارسول الله.

فدعا النبى ﷺ بلالا وقال له: «اذْهَبْ بجابر فَأَعْطِهِ أُوقِيَةً».

ثم قال لجابر ممازحا فى كلمات بالغة الرقة.. «أترانى ماكستك؟ ما كنت لآخذ جملك»، «يا بن أخى خذ برأس جملك فهو لك».

فرجع جابر ومعه جمله ومعه أيضا أوقية من المال ثمن الجمل، وكان فى هذا المال الذى قبضه جابر من النبى بركة ملأت داره، ولكن النبى ﷺ لم ينقطع عطاؤه لجابر عند هذا الحد، فقد كان يعرف أنه شاب فى مقتبل حياته يعول تسعة من أخواته البنات الأيتام وقد تركهم أبوهم ورحل عن الدنيا شهيدا فى سبيل الله، وكان النبى ﷺ حريصا على أصحابه، عزيزا عليه ما يتعبهم، رؤوفا رحيما بهم.

فكان يسأل عن جابر ويتحرى أخباره، وعرف النبى ﷺ أن أبا جابر قد استشهد وعليه دين كبير وقد ورث جابر ابنه هذا الدين ولا يملك من الدنيا إلا قليل من النخيل.. فسأله النبى ﷺ قائلا: «يَا جَابِرُ مَا فَعَلَ دَيْنُ أَبِيك»؟. فقال جابر: قد علمت يارسول الله أن والدى استشهد يوم أحد، وقد ترك عليه دينا كثيرا، فأنا أحب أن يراك الغرماء.

فقَالَ له النبى ﷺ: «مَنْ صَاحِبُ دَيْنِ أَبِيك»؟.

فَأجابه: أَبُو الشَّحْم الْيَهُودِىّ، لَهُ عَلى أَبِى ثلاثون وسقا من تَمْر.

فذهب النبى ﷺ إلَى اليهودى صاحب الدين وطلب منه المهلة لجابر حتى تكتمل ثمار نخيله فيجذها ويقضى دينه فقال له: «انظر جابرا» ولكن اليهودى رفض وقال: لا يا أبا القاسم.

فلما رفض اليهودى إعطاء مهلة ليستوفى دينه، أمر النبى ﷺ جابر أن يجذ ثمار نخيله فقال له.. «يَا جَابِرُ، فَإِذَا جَذَذْتَهَا فَاعْزِلْ الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَتِهَا، وَأَلْوَانَ التَّمْرِ عَلَى حِدَتِهَا»، «اذهب فبيدر كل تمر على ناحية» يعنى ضع كل نوع من التمر فى بيدرة وهو الجرن الخاص به الذى تجمع فيه الثمار.

ثم ذهب النبى ﷺ إلى أرض جابر فمشى فيها، ثم طاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات، ثم جلس عليه، وقال لجابر: «اُدْعُ غَرِيمَك»، فَجَاءَ أَبُو الشَّحْم اليهودى ومعه عماله، فقال النبى ﷺ: «ياجابر جذ له فأوفه الذىَ له» ثم قال النبى ﷺ لجابر: «أين عريشك يا جابر»؟ فأخبره بموضعه فقال له النبى ﷺ: «افرش لى فيه»..فكنسه جابر وفرشه فدخل النبى ﷺ العريش فرقد ينام فيه.. وراح جابر يكيل لهم وهو قلق

يخاف ألا يكفى التمر سداد دينه وعمال أبى الشحم يحملون التمر على ظهورهم، فشاهد أمرا عجبا أن التمر يربو ويزيد ولا ينقص حتى وفى دين اليهودى كله، فقال جابر متعجبا: ما زلت أكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدى.. وأنا والله راض أن أدى الله أمانة والدى وإن لم أرجع لإخوتى بتمرة.. فسلم الله البيادر كلها.. حتى كأنى أنظر إلى البيدر الذى عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص منه تمرة واحدة.

فذهب جابر إلى النبى ﷺ فى العريش وهو مسرور يريد أن يخبره بما حدث فوجد النبى ﷺ قائما يصلى العصر، فلما انصرف النبى من صلاته، أخبره جابر أنه قد قضى دينه وأخبره بالفضل الذى فضل له من البركة.. فقال النبى ﷺ: «أشهد أنى رسول الله».. ثم قال لجابر: «أخبر بذلك ابن الخطاب».. فذهب جابر إلى عمر بن الخطاب فأخبره بما حدث.

فقال عمر: لقد علمت حيث مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن الله فيها.

ونمى الله لجابر فى البركة فى هذه الثمار فربح ربحا كثيرا، وأوسع على إخوته وبيته.. حتى مرت الأيام والسنون ونزلت زوجته إلى السوق فوجدت نمارق من بلاد الفرس فاشترت زوجته النمارق وفرشت بها الدار حتى إنها ملأت بها أركان البيت.. فكان جابر يراها ويتذكر حال النبى ﷺ الذى كان ينام على الليف الخشن حتى يؤثر فى جنبه الشريف، ثم يتذكر كلمة رسول الله له يوم نجد فيتبسم وهو يقول لها: أميطى عنا نمارقك، ما أحب أن أتكأ عليها، فتقول له زوجته: أما تذكر أن الرسول ﷺ قال إنه ستكون لكم نمارق[1].

(١) السيرة لابن هشام والمغازى للواقدى ومسلم فى صحيحه والبخارى عن أبى نعيم والبيهقى فى الدلائل وأحمد فى مسنده.

القصة السادسة عشرة

جابر ﷺ يطعم جيشا كاملا بمعجزة نبوية

كان جابر بجانب النبى ﷺ فى حفر الخندق ينظر إليه ويسمع كلامه، أحس فى صوت النبى بالضعف وعرف فى وجهه أثر الجوع.. فحزن جابر وهو يرى النبى ﷺ على هذه الحالة من التعب والجوع والغبار يغطى بدنه الشريف.. وهو يعمل بيده الشريفة مع أصحابه فى الحفر فيحمل التراب والحجارة ويضرب فى الصخر بالمعول.

فأراد جابر الذهاب إلى بيته فاستأذن النبى فى الانصراف قائلا: ائذن لى يارسول الله الذهاب إلى المنزل.. فأذن له النبى ﷺ.. فأسرع جابر إلى امرأته يقول لها: رأيت بالنبى ﷺ شيئا ما لى عليه صبر..

فسألته: مابه بأبى وأمى رسول الله؟.

فأجابها: رأيت بالنبى ﷺ خمصا - جوعا ـ شديدا، أفعندك شىء؟.

فقالت له: عندى صاع من شعير وعناق ـ يعنى ماعز صغير.. فادع رسول الله ورجلا أو رجلين ولا تفضحنى برسول الله وبمن معه كلهم.. ثم ذبحوا العناق وطحنت صاع الشعير وجعلت اللحم فى البرمة على النار.

وذهب جابر إلى النبى ﷺ وهمس فى أذنه قائلا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ صَنَعْت لَك طُعَيِّمًا فقم أنت ورجلين من أصحابك.. فسأله النبى ﷺ «وكم هو»؟ فأجابه جابر: صاع من شعير وعناق.. فإذا بالنبى ﷺ يقول

للمسلمين جميعا: «يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع لكم سؤارا ـ يعنى ضيافة ـ فحيهلا بكم ـ سيروا مسرعين».

فقام الناس جميعا يمشون نحو بيته ونهض النبى ﷺ وهو يشبك أصابعه بأصابع جابر حتى قام.. ومشى النبى ﷺ أمام الجيش ويده فى يد جابر والجيش يمشى خلفهم.. وقد استولى على جابر من الحياء الشديد ما لايعلمه إلا الله وهو يقول فى نفسه: جاء النبى ﷺ بالخلق على صاع شعير وعناق، والله إنها لفضيحة.

فإذا بالنبى ﷺ يقول له «كثير طيب.. لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء».

فدخل جابر قبلهم مسرعا على زوجته وهو يقول لها فى فزع: افتضحت، جاءك رسول الله بالجند، بالأنصار والمهاجرين.. فقالت له: أنت دَعَوْتهمْ أَوْ هُوَ دَعَاهُمْ؟.

فَأجابها: بَلْ هُوَ دَعَاهُمْ.

فَقالَتْ له: إذاً دَعْهُمْ فهُوَ أَعْلَمُ.

فكشفت عنه بكلماتها شيئا مما يعانيه من الغم ومخافة الحرج.

ثم أمر النبى ﷺ أصحابه أن يكونوا جماعات. وأن يدخلوا عشرة عشرة، وقال لهم: «ادخلوا ولا تضاغطوا».. ودخل النبى ﷺ قبلهم وطلب من جابر أن يصطحبه إلى المكان الذى يطهون فيه الطعام.

فدخل فوجد البرمة على النار فوق الأثافى واللحم قد قارب على النضج، ووجد العجين يختمر.. فقدموا له العجين فنفث فيه النبى وبارك، ثم ذهب إلى البرمة التى فيها اللحم فنفث فيها وبارك.. ثم قال لهم: «اغْرِفُوا وَغَطّوا الْبُرْمَةَ، وَأَخْرِجُوا مِنْ التّنّورِ الْخُبْزَ ثُمّ غَطّوهُ».

ثم راح النبى يغرف لهم بيده فراح يثرد الخبز ويغرف اللحم ثم يخمر هذا ويخمر هذا - يعنى يغطيهم ولا يكشف الغطاء.. وراحوا يقربون الطعام للناس فتأكل العشرة ثم تنصرف وتأكل عشرة أخرى.. حتى شبع الجيش كله وكان عددهم ثلاثة آلاف.. وكانوا كلما غرفوا من الطعام يعود التنور والقدر أملأ مما كانا.

ثم قال النبى ﷺ لزوجة جابر «كلى وأهدى».. فأكلوا وظلوا طوال اليوم يهدون منها جيرانهم. والبرمة تفور باللحم كما هى لا تنقص شيئا.. والخبز يخرج من التنور لا ينقص شيئا.. وراحت الصحابة ينشدون من فرحهم بهذه الآية قائلين.

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فكان النبى ﷺ يرد عليهم مع الجموع التى تنشد قائلة.

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرةْ فارحم الأنصـــار والمهاجرةْ[1]

(١) البخارى ومسلم والنسائى ومغازى الواقدى ودلائل النبوة.

القصة السابعة عشرة

حذيفة ﷺ ينام فى شملة النبى ﷺ ويصبح صاحب السر

كانت رياح الصبا رياح خفيفة تهب على الوادى محملة بأريج الأذخر وعطر الزهور الجبلية فتنعش الأرواح.. ولكنها فى هذه المرة جاءت ريحا عاتية قوية فصارت تعصف بكل شىء.. وتنقل كثبان الرمال.. وتقتلع الأوتاد وتهدم البنيان.. ولا يعرف فعل الريح فى الجبل إلا أهل الجبل.

لم تكن جيوش الوثنيين التى تحاصر المدينة وقتها تتوقع أنها ستحارب طواحين الهواء وأن من سيتصدى لهم ويهزمهم هواء.. نعم مجرد هواء.. فبينما كانت هذه الأحزاب الضخمة تقف عاجزة أمام هذا الخندق الممدود أمامهم ويفكرون فى حيلة لعبوره إذ هبت عليهم عاصفة تخلع الخيام وتطفئ النيران وتكفئ قدور الطعام، وتأخذ بالرجل وجمله فتطيح بهم وتلقيهم بعيدا حيث الرمال الناعمة التى تقذفها الريح فتدفنهم بها أحياء.

وارتفع صوت الريح ودوى هزيزها وصفيرها يغزو سكون الليل..فكانت لها أصوات كأمثال الصواعق.. فكبر المسلمون عند ذلك وعرفوا أنها الآية التى بشرهم بها رسول الله ﷺ.

وَوقف ابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُ: جَاءَتْ الْجَنُوبُ إلَى الشّمَالِ، فَقَالَتْ: انْطَلِقِي بِنَصْرِ اللّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَتْ الشّمَالُ: إنّ الْحُرّةَ لا تَسْرِي بِلَيْلٍ، فَبَعَثَ اللّه

عَزّ وَجَلّ الصّبَا، فَأَطْفَأَتْ نِيرَانَهُمْ وَقَطَعَتْ أَطْنَابَ فَسَاطِيطَهُمْ.. وَقَالَ لهم النبى ﷺ مبشرا: «نُصِرْت بالصّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بالدّبُور».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الأحزاب -٩

إنها ريح شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص إصبعه إذا مدها.. إنها ريح جعلتهم عميان لا يبصرون.. إنما يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت.. إنها ريح لا يثبت لها شجر ولا وبر.. ومن يخرج رأسه من جحره فقد خاطر بروحه.

وكان العجيب أن معسكر المسلمين لم يكن به من هذه الريح سوى الصقيع الشديد فقط.. وهم يسمعون دويها تعصف بمعسكر العدو على الجانب الآخر من الخندق.

وبينما هم فى ذلك الوقت كامنون فى معسكرهم يستدفئون بالنار، أراد النبى أن يبعث رجلا من أصحابه فيتسلل حتى يأتى معسكر العدو فيأتيه بخبرهم.. فقال النبى ﷺ: «ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع»؟ فوجم القوم جميعا، فقال النبى ﷺ: «ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ويكون معى يوم القيامة»؟.. فوجم القوم ولم يتكلموا.. فقال النبى ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ.. جَعَلَهُ اللَّهُ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»؟.

ولم يكن الصحابة الذين يجاهدون مع النبى ﷺ بأرواحهم ويفدونه بحياتهم ليجبنوا عنه فى هذه اللحظة.. وإنما شعورهم بأن النصر بات وشيكا خاصة بعد شهودهم آية الريح، جعل ذلك كل واحد منهم يتمنى البقاء حتى يشاهد بعينيه فرحة النصر مع النبى ﷺ بهذه الآية.

وكانت تلبية هذا الطلب بمثابة الموت المحقق الذى لا شك فيه.. فالخارج سيلقى بنفسه فى هذا الصقيع الذى يجمد الدم فى العروق، وإن نجا من الصقيع فكيف ينجو من هذه الريح التى تخلع الشجر وتطيح بالكثبان، وإن نجا من الريح فكيف ينجو من جيوش العدو التى ستفتك به إن تفطنوا له.. كانت كل هذه الخواطر تجول فى الرءوس، وخاصة حذيفة بن اليمان الذى ترددت فى صدره هذه الخواطر وقتها، فكانت داعية الإيمان بداخله تدعوه أن يلبى نداء النبى ﷺ ثم يثنيه الطبع البشرى لخوفه أن يمثل الوثنيون بجسده.

فتمنى أن يستجيب لرغبة النبى ﷺ وفى نفس الوقت يفوز بدعوة من النبى ﷺ أن يرجع سالما، وبينما هو مستغرق فى هذه الأفكار، إذا به يفيق على صوت النبى ﷺ وهو يقول «ياحذيفة».. وكان حذيفة يحكى هذا المشهد فيقول: قال النبى ﷺ ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد..فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أنه لا يَقُومُ أَحَدٌ، دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ»، فتقاصرت بالأرض، ولَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ الْقِيَام حِينَ فَوَّهَ بِاسْمِي، فَجِئْته وَلِقَلْبِي وَجَبَانٌ فِي صَدْرِي. فَقَالَ لى النبى ﷺ: «تَسْمَعُ كَلامِي مُنْذُ اللَّيْلَةَ وَلا تَقُومُ»؟.

فَقُلْت: لا. وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ،ما قَدَرْت عَلَى مَا بِي مِنْ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ والخوف.

فَقَالَ النبى ﷺ: «اذْهَبْ فَانْظُرْ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ وَلا تَرْمِينَ بِسَهْمٍ وَلا بِحَجَرٍ وَلا تَطْعَنُ بِرُمْحٍ وَلا تَضْرِبَن بِسَيْفٍ حَتَّى تَرْجِعَ إلَيَّ».

فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي خوف أن يَقْتُلُونِي وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يُمَثِّلُوا بِي، فَقَالَ لى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ عَلَيْك بَأْسٌ».

فَعَرَفْت أَنَّهُ لا بَأْسَ عَلَىّ مَعَ كَلام رَسُولِ اللّهِ ﷺ الأَوّلِ.

فقلت: لكنى أخشى أن أوسر يارسول الله ـ يعنى يقع أسيرا.

فقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تؤسر».

فقلت: والذى بعثك بالحق ما منعنى أن أقوم إلا حياء منك من البرد.

فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلى».

ثُمّ قَالَ رسول الله ﷺ: «اذهب، حفظك الله من أمامك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، حتى ترجع إلينا».

فمضيت كأنى أمشى فى حمام ـ يعنى حميما مثل الهواء الحار.

فَدَخَلت عَسْكَرَهُمْ فَإِذَا هُمْ يَصْطَلُونَ عَلَى نِيرَانِهِمْ وَإِنّ الرّيحَ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لا تُقِرّ لَهُمْ قَرَارًا، وَلايثبت لهم بِنَاءً، فَأَقْبَلْت فَجَلَسْت عَلَى نَارٍ مَعَ قَوْم منهم، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: احْذَرُوا الْجَوَاسِيسَ وَالْعُيُونَ، وَلْيَنْظُرْ كُلّ رَجُلٍ جَلِيسَهُ. فبادرت وأخذت بيد جليسى على يمينى وقلت له:

من أنت؟.

فقال: معاوية بن أبى سفيان.

ثم أخذت بيد جليسى على يسارى فقلت: من أنت؟.

فقال: عمرو بن العاص.

فعلت ذلك خشية أن ينتبهوا إلى.. فسمعت أبا سفيان يقول: يامعشر قريش والله إنكم أصبحتم لستم بدار قرار.. ولَقَدْ هَلَكَ الْخُفّ وَالْكُرَاعُ.. وغدرت بنا بنو قريظة.. وقد لقينا من هذه الريح ما ترون، فمَا يَثْبُتُ لَنَا

بِنَاءُ وَلا تَطْمَئِنّ لَنَا قِدْرٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنّى مُرْتَحِلٌ. وَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ وَجَلَسَ عَلَى بَعِيرِهِ فلَوْلا عَهْدُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِلَىّ حين بعثنى ألا أَحْدِث شَيْئًا، لَقَتَلْته بسهم.

ثم دخلت العسكر فإذا الناس فى عسكرهم يقولون.. الرحيل الرحيل.. لا مقام لكم.. والريح تقلبهم على أمتعتهم،وتضربهم بالحجارة، والريح مع ذلك لا تجاوز عسكرهم.

فلما انتصفت الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارسا معممين، فخرج إلىَّ فارسان منهم وقالا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاه القوم.. ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل، وعاودنى البرد، فجعلت أقرقف ـ لأن النبى ﷺ قال: لا بأس عليك من برد حتى ترجع إلى فأومأ إلى رسول الله ﷺ بيده، فدنوت منه. فسدل على من فضل شملته، فنمت ولم أزل نائما حتى الصباح.

فلما أصبحت، قال لى رسول الله ﷺ: «قم يانومان».. يعنى ياكثير النوم.. واصطفى النبى ﷺ حذيفة وخصه بعلوم من الأسرار،حتى أصبح يقال له.. صاحب سر رسول الله.. فكان يعلم علم المنافقين حتى أسماءهم ويعلم علوم الفتن ونبوءات آخر الزمان وغير ذلك وكان يقول: لقد حدثنى رسول الله ﷺ بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة[1].

(١) مغازى الواقدى وأسد الغابة والسيرة لابن هشام والسيرة الحلبية.

القصة الثامنة عشرة

ثعلبة ﷺ شهيد التوبة

يروى أنه كان هناك فتى من الأنصار يقال له ثعلبة بن عبد الرحمن.. كان يخدم النبى ﷺ ويلزمه، ويبعثه فى حاجته، فمر الفتى فى يوم بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة عارية تغتسل، فكرر النظر إليها، ثم انصرف وخاف أن ينزل الوحى على النبى ﷺ فيما صنع، وتعاظم على قلبه كيف يكون فى مجلس النبى وأصحَابه الأبرار وقد صنع ذنبا كهذا.

فرأى أنه أحقر من ذلك، وحدثته نفسه ألاّ يدنس مجلس الأطهار بحضوره.. فخرج هاربا على وجهه، فأتى جبالا بين مكة والمدينة فدخلها.

ومكث فيها زمانا يتوب ويبكى، ففقده النبى ﷺ أربعين يوما.. ثم إن الملك جبريل نزل على النبى ﷺ، فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الهارب من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بى من نارى. فدعا النبى عمر وسلمان، وقال لهما: «يا عمر ويا سلمان.. انطلقا فائتيانى بثعلبة بن عبد الرحمن» وعين لهما مكانه.

فخرجا فى أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاء الشاة بين الجبال يقال له: ذفافة. فقال له عمر: يا ذفافة، هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟.

فقال له ذفافة: لعلك تريد الهارب من جهنم؟.

فقال له عمر: وما علمك أنه هارب من جهنم؟.

قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من هذه الجبال واضعا يده على رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد،ولم تجردنى فى فصل القضاء.

فقال عمر: إياه نريد.

فانطلق بهم الراعى إليه، فلما كان فى جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعا يده على رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح، وجسدى فى الأجساد، ولم تجردنى لفصل القضاء.. فعدا عليه عمر فاحتضنه، فقال ثعلبة: الأمان، الخلاص من النار.

فقال له عمر: يا أخى أنا عمر بن الخطاب..

فقال ثعلبة: يا عمر، هل علم رسول الله ﷺ بذنبي؟.

قال عمر: لا علم لى، إلا أنه ذكرك بالأمس.

فبكى الفتى وقال: يا عمر، لا تدخلنى عليه إلا وهو يصلى، وبلال يقول قد قامت الصلاة.

فأقبلا به حتى دخلوا إلى المدينة، فوافقوا النبى وهو فى صلاة الغداة، فاصطفوا فى الصف، فما سمع ثعلبة قراءة النبى ﷺ حتى خر مغشيا عليه وأحس أن الآيات تخاطبه وتكاد تنطق باسمه، فلما سلم النبى ﷺ وانصرف من صلاته قال: «يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن»؟.

فقالا: هو ذا يا رسول الله.

فقام النبى ﷺ قائما وهو ينادى قائلا «ثعلبة».

فقال: لبيك يا رسول الله.

فنظر إليه النبى ﷺ وقال له: «ما غيّبك عنى»؟.

فقال ثعلبة: غيبنى عنك الذنب يا رسول الله.

فقال له النبى ﷺ: «أفلا أدلك على آية تكفر الذنوب والخطايا».

قال: بلى يا رسول الله.

قال النبى: «قل: اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

فقال ثعلبة: ذنبى أعظم يا رسول الله.

فقال له النبى ﷺ: «بل كلام الله أعظم يا ثعلبة».. ثم أمره النبى ﷺ بالانصراف إلى منزله.

فمرض ثمانية أيام. فجاء سلمان إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله، هل لك فى ثعلبة نأته نزوره لما به؟ فقال لهم النبى ﷺ: «قوموا بنا إليه». فلما دخل عليه أخذ النبى ﷺ رأسه فوضعه فى حجره. فاستحى ثعلبة أن تكون رأسه فى حجر النبى الشريف..فأزال رأسه عن حجر النبى ﷺ. فقال له النبى ﷺ: «لم أزلت رأسك عن حجرى»؟.

فأجابه ثعلبة: إنه من الذنوب ملآن يارسول الله.

فقال النبى ﷺ: «ما تجد»؟.

قال: أجد مثل دبيب النمل بين جلدى وعظمى.

فقال له النبى ﷺ: «فما تشتهى»؟.

قال ثعلبة: مغفرة ربى.

فنـزل جبريل وقتها علـى النبى ﷺ فقال لـه: إن ربك يقرأ عليك السـلام ويقول: لو أن عبـدى هذا لقينى بقـراب الأرض خطيئة لقيته بقرابها مغفرة.

فقال النبى ﷺ للملك جبريل: «أفلا أعلمه ذلك»؟ فأجابه الملك: بلى.. فأعلَمَه النبى ﷺ بذلك. فصاح ثعلبة صيحة فمات.. فأمر النبى ﷺ بغسله وكفنه وصلى عليه، فجعل النبى ﷺ يمشى على أطراف أنامله فى جنازته، فقالوا: يا رسول الله، رأيناك تمشى على أطراف أناملك؟.

فقال النبى ﷺ «والذى بعثنى بالحق نبيا، ما قَدِرت أن أضع رجلى على الأرض من كثرة أجنحة مَن نزل لتشييعه من الملائكة»[1].

وكان النبى ﷺ يقول لهم: «رُبَّ ذنب أدخل صاحبه الجنة».فقالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟.

فقال النبى ﷺ: «لا يزال تائبا فارا منه، خائفا من ربه حتى يموت فيدخله الله الجنة»[2].

«لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك، العجب العجب»[3].

---

(١) رواه أبو نعيم فى «حلية الأولياء» وفى «معرفة الصحابة» ورواه الخرائطى فى «اعتلال القلوب»، ومن طريقه ابن قدامة فى «التوابين» ورواه أبو عبد الرحمن السلمى فى «طبقات الصوفية».وابن مندة مختصرا كما فى «الإصابة»لابن حجر.

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لأحمد بن حنبل والمعجم للطبرانى.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى وأخرجه البزار، والديلمى.

«والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون، فيغفر لهم»[1].. «وإذا أحب اللّه عبدا لم يضره ذنب»[2].

«إنَّ المؤمِنَ يَرى ذُنوبَهُ كأنَّه قاعِدٌ تحتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يقعَ عَليهِ.. وإنَّ الفاجِرَ يَرى ذُنوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ على أنْفِهِ فقالَ بهِ هَكَذا»[3].. «الندم توبة.. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[4].

---

(١) البخارى وسلم.

(٢) الديلمى عن أنس وابن أبى الدنيا.

(٣) البُخارى كتاب الدعوات، باب التوبة ومرقاة المفاتيح.

(٤) ابن ماجه، والطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الشعب وأبو نُعيم فى الحلية.

القصة التاسعة عشرة

ماذا فعل أبو الهيثم ﷺ عندما وجد النبى ﷺ فى بيته؟

كان النبى ﷺ زاهدا فى حياته وفى بيته. يربى أصحابه على التواضع والخشوع وليس على الترف والتعالى.. كان ملكا حاكما ولكنه يعيش كعبد مسكين، متواضعا حتى كأنه واحد مثل بقية أصحابه، لا تميزه من بينهم لولا نور النبوة يلوح على وجهه والجلالة تنطق من نواحيه.

فى يوم من أيام زمانه فى المدينة كان صاحبه أبو بكر يتألم من شدة الجوع ولم يجد عند زوجته فى بيته ما يأكله.. فخرج أبو بكر من بيته إلى الطريق يمشى فى مناكب الوادى لعل الله أن يرزقه أو يجد ما ينسيه الجوع حتى ينقضى يومه.. فلم يمض وقت يسير إلا وأبو بكر يشاهد عمر مقبلا عليه.. فسأله أبو بكر: ما الذى أخرجك من بيتك فى هذه الساعة ياعمر؟.

فأجابه عمر: والله ما أخرجنى إلا الجوع.

ومضى الاثنان فى طريقهما تملأهما روح من السعادة والدهشة أن تلاقيا الاثنان على نفس الأمر ذاته.. وأن الله قد زوى عنهما الدنيا ومتاعها وسلك بهما فى طريق الأنبياء والصديقين الذين لا يهتمون لما يأكلون أو يلبسون.

وبينما هما كذلك إذا بهما يلمحان هيئة شخص مقبل عليهما من بعيد.. فحدقوا النظر نحوه وما أن اقترب هذا الإنسان منهم فإذا بهم يجدونه رسول الله ﷺ..فأقبل الاثنان نحوه فى فرح باللقاء وهما يسألانه: بأبينا أنت وأمنا يارسول الله، ما أخرجك من بيتك فى هذه الساعة؟.

فأجابهما النبى ﷺ بما لم يكن يخطر فى بالهما أو يتوقعانه، فقال لهما: «ما أخرجنى إلا الذى أخرجكما» يعنى الجوع.

ومضى بهما النبى ﷺ يمشون سويا فى الوادى الرحيب.. يهتز حولهم سعف النخيل، وتهب عليهم رياح الصبا فتحمل فى طياتها أريج عشب الأذخر.. فما أن تتمسح بنسائمها على جسد النبى حتى تمتلئ من طيبه العطر فتدخل فى صدورهم فتملأها بالإيمان والروح، وتغسلها من درن الهموم والأحزان..وكان النبى يعلمهم قائلا.. «من كان رزقه على الله فلا يحزن».. «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا»[1].

«لا تيأسا من الرزق ما تهززت رءوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله»[2].

حتى وصلوا إلى منزل أبى الهيثم الأنصارى فإذا به ليس فى البيت.. فخرجت لهم زوجته ورحبت بهم قائلة: مرحبا بنبى الله ومن ومعه.

فسألها النبى ﷺ: «أين زوجك»؟.

فقالت: يأتيك يانبى الله الساعة، لقد انطلق يستعذب لنا الماء.

---

(١) الترمذى وأحمد بن حنبل فى مسنده.

(٢) ابن ماجه و أبى داود وكتاب الترمذي.

وكان الأنصارى فى بستان نخيل له يصلحه ويجنى ثمره فرأى النبى ﷺ، فأقبل مسرعا من بستانه حتى وصل إلى النبى ﷺ فراح يعانقه ويستفديه قائلا: فداك أبى وأمى يارسول الله، مَرْحَبًا وَأَهْلا، مَا زَارَ النَّاسَ قَطُّ مِثْلَ مَا زَارَنَا اللَّيْلَةَ، الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى.. وكان سعيدا جدا أن زاره النبى ﷺ وأصحابه.

ثم بسط لهم حصيرا فأجلسهم عليه وأحضر لهم عذقا من تمر وعذقا من بسر وعذقا من رطب.. فقال له النبى ﷺ: «هلا ما اجتنيت» يعنى كان يكفى ما اجتنيت فقط من الثمر وهو الرطب.

فقال له الأنصارى: أحببت يارسول الله أن تأكلوا من بسره وتمره ورطبه.. ثم أخذ سكينا وقام ليذبح لهم من أغنامه، فقال له النبى ﷺ: «اذبح ولكن نكب عن الدر» يعنى ابتعد عن التى تدر اللبن – حتى لا يذبح حلوبا ترضع صغارها أو تسقى البيت من لبنها.. فذبح لهم جديا وطبخ نصفه وشوى نصفه ثم وضعه بين أيديهم وقال: أحببت يارسول الله أن تأكل منه مشويا ومطبوخا.. فلما وضع بين يدى النبى ﷺ أخذ من الجدى فجعله فى رغيف وقال له: «أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ زمن بعيد».

فلما أكلوا وشبعوا قال لهم النبى ﷺ: «خبز ولحم وتمر وبسر ورطب، ودمعت عيناه.. والذى نفسى بيده إن هذا لهو النعيم الذى تسألون عنه. قال الله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ فهذا النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة»، فكبر ذلك على أصحابه وقالوا: يارسول الله أى نعيم نسأل عنه،

سيوفنا على عواتقنا والأرض كلها لنا حرب، يصبح أحدنا بغير غداء ويمسى بغير عشاء؟.

فقال لهم النبى ﷺ: «بلى، إذا أصبتم هذا فضربتم بأيديكم فقولوا: بسم الله فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذى هو أشبعنا وأنعم علينا وأفضل، فإن هذا كفاف لها»[1].

(١) القصة بالراويات العديده عند مسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن جرير وابن حبان وابن مردويه وفى الجوع لابن أبى الدنيا ومسند أبى يعلى الموصلى وغيرهم.

القصة العشرون

خبيب رضي الله عنه صحابى على الصليب

كان ما أصاب المسلمين فى أحد سببا لأن تشمت فيهم القبائل الوثنية وتتجرأ عليهم فتخرج ما كانت تكتمه نحوهم من حقد دفين.. فتحركت ضدهم أحياء العرب، وتجاسرت كل قبيلة على أن تؤذى المسلمين. ومن هؤلاء كان حى عضل والقارة. فقد قرر أهل هذا الحى أن يصنعوا مكيدة خبيثة للمسلمين، فأرسلوا وفدا إلى النبى ﷺ وقالوا له إنهم قد أسلموا وأن الاسلام قد فشا فى حيهم. وأنهم يحتاجون أن يبعث معهم عددا من الصحابة كى يفقهوهم فى الإسلام ويعلموهم القرآن.

ولما كان النبى ﷺ يقول: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[1].

أرسل معهم النبى ﷺ عشرة من أصحابه يعلمونهم الدين وعاملهم على ظاهرهم بما يقولون، برغم أنهم كاذبون يضمرون الغدر، ولكن لأن الله سيجعل هؤلاء الصحابة المبعوثين من قبل الرسول ﷺ سببا بالفعل لهداية أقوام آخرين وسوف يكونون مثلا فى البطولة والفداء..

وكان من بين هؤلاء العشرة المسلمين ثلاثة أبطال وهم عاصم وزيد وخبيب.

---

(١) أبو داود والترمذى وابن ماجه والمنذرى وابن حبان والحاكم.

وقد مضت رسل رسول الله ﷺ مع هذا الوفد الكاذب وهم يضمرون فى قلوبهم نيات الخير ويحملون مشاعل النور، فبينما هم فى الطريق عند واد يسمى الرجيع، يسيرون فى البيداء الواسعة، يقرأون آيات الله ويذكرون عظمته وجلاله.. إذا بهذا الوفد يتنمر لهم فجأة وتلمع أعينهم بنظرات الخيانة ويلوحون بإشارة من أياديهم الآثمة.

فإذا بالجبال تنشق فجأة عن مئات من الأعراب الملثمين فيخرجون وكأنهم الشياطين المردة شاهرين السلاح ويحيطون برسل النبى العشرة.. وكانوا يريدون أن يأسروهم ويذهبون بهم إلى وثنيّ مكة ليقتلوهم.. فلما رأت رسل النبى ﷺ هذه الغارة المعتدية أمسكوا سيوفهم يدافعون عن أنفسهم.

فَقَالَ لهم الْعَدُوّ: مَا نُرِيدُ قِتَالَكُمْ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ ألا نَقْتُلُكُمْ.

فمن صدقهم على هذا العهد من رسل النبى استسلموا لهم ولم يقاتلوهم. فإذا بالعدو يجردهم من سلاحهم ويوثقهم بالحبال وأوتار قسيهم.. فلما شاهد ذلك ثلاثة من الرسل وهم عاصم ومرثد وخالد بن البكير رفضوا أن يستسلموا وقالوا: لا نقبل عهدا من مشرك.. فهجم العدو على هؤلاء الثلاثة.

وقاتلوهم حتى قتلوهم. وكانوا يريدون التمثيل بجسد عاصم وقطع رأسه كى يبيعوها لامرأة من قريش اسمها سلافة.. لأن هذه المرأة قد نذرت أن تشرب فى قحف رأس عاصم الخمر، وأن تعطى لمن يأتيها برأسه مائة ناقة.. فقال عاصم وهو يحتضر: اللّهُمّ إنى حَمَيْت دِينَك أَوّلَ نَهَارِى، فَاحْمِ لِى لَحْمِى آخِرَهُ.

فلما اقتربوا منه بسيوفهم يتسابقون لقطع رأسه بعث الله عليهم عددا كبيرا من الدبر والنحل الجبلى فصار كأنه سحابة سوداء لها طنين عال فاجتمعت فوق جسد عاصم تحميه منهم فلم يقترب إليه أحد منهم إلا لدغته فى وجهه وهجمت عليه.. فقالوا: دعوه إلى الليل؛ فإنه إذا جاء الليل ذهبت عنه هذه الدبر وعادت إلى أعشاشها.

فلما جاء الليل أرسل الله على الوادى سيلا شديدا فتحصنوا منه فى رؤوس الجبال واحتمل السيل جسد عاصم فذهب به بعيدا عنهم ولم يعثر عليه أحد إلى الآن.. فَكان عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب يَذْكُرُ عَاصِمًا أنه نَذَرَ أَلاّ يَمَسّ مُشْرِكًا، وَلا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ ،ويقول: إنّ اللّهَ لَيحفَظُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقد مَنَعَهُ اللّهُ أَنْ يَمَسّوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ فِى حَيَاتِهِ.

ولما قتلوا الثلاثة وساروا بباقى رسل النبى ﷺ حتى وصلوا عند مر الظهران ووجدوا أنفسهم فى الطريق إلى مكة قال الصحابى عبدالله بن طارق: هَذَا أَوّلُ الْغَدْرِ وَاَللّهِ لا أُصَاحِبُكُمْ إلى مكة وإنّ لِى فِى هَؤُلاءِ القتلى لأُسْوَةً، فَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ رِبَاطِهِ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ يدافع به عن نفسه، فَانْحَازُوا عَنْهُ وهجموا عليه جميعهم يقاتلونه فَأخذ يَدخل فيهم وَيَنْفَرِجُونَ عَنْهُ خوفا منه.. فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ من بعيد حَتّى سقط شهيدا، فَقَبْرُهُ هناك بِمَرّ الظّهْرَانِ.

ولما دخلوا مكة برسل النبى ﷺ أقبل عليهم المشركون من كل صوب يريدون الانتقام من المسلمين وراحت كل قبيلة تشترى منهم مسلما ثم يقتلونه بعد أن يعذبوه ويعطوه للصبيان والسفهاء يجرونه فى وديان مكة على مرأى ومسمع من الناس.

واشـــترت قبيلة مـــن الوثنيين خبيـــب بن عدى بثمانـــين مثقال من ذهب، واشترت قبيلة أخرى زيد بن الدثنة بخمسين.. فنظر خبيب إلى أخيه زيـــد يودعه ثم تعانقا وأوصى كل واحد منهما صاحبه على الصبر والثبات.. وهجم المشـــركون على زيد فاقتـــادوه إلى مكان قتله بالتنعيم، وتجمعوا حوله فقالوا له: ارْجِعْ عَنْ دِينِك يازيد فنطلقك ونعفو عنك.

فقَالَ زيد: لا، وَاللّهِ لا أُفَارِقُ دِينِى أَبَدًا.

فقَالُوا: أَيَسُرّك يازيد أَنّ مُحَمّدًا يكون فِى أَيْدِينَا مَكَانَك وَأَنْتَ فِى بَيْتِك؟.. فأجابهم زيد: مَا يَسُرّنِى أَنّ مُحَمّدًا أُشِيكَ بِشَوْكَةٍ، وَأَنَى فِى بَيْتِى.

فتغيظوا منه وقتلوه.

وأما خبيب فقد حبسوه فى بيت من بيوتهم ووضعوه فى حجرة موثق بالقيود والسلاسل حتى يأتى يوم تجتمع فيه القبائل فيشهدون مقتله.. فكان خبيب يقضى وقته يصلى ويقرأ القرآن ويتهجد فى الليل بالصلاة.

كان عابدا، ناسكا، زاهدا، يحمل فى داخله طبيعة العابدين، وروح المحبين، حتى إن من كان يسمع صلاته وصوت قراءته ودعائه من خارج البيت يرق قلبه له.. وكانت هناك نساء وصبيان يجتمعون ليلا فيسمعونه فلا يملكون أنفسهم حتى يبكون.

وقد جعل الله خبيبا يغرس بصلواته فى قلوب هؤلاء بذرة الإيمان كما سيغرسها بدمائه فى قلوب آخرين.

وكان من بين هؤلاء صبي صغير وهو ابن لصاحبة الدار التى يوجد بها خبيب وكانت تدعى ماوية، صار هذا الصبى يحب خبيبا ويختلس الدخول إليه فى محبسه فيكلمه ويسمع منه، حتى طلب منه خبيب

فى يوم أن يأتيه بموسى ـ أداة للحلاقة ـ لكى يتطهر ويحلق بها شعره قبل أن يقتله المشركون.. فذهب الصبى إلى أمه وطلب منها ذلك، فأعطته له وبمجرد أن دخل الصبى إلى خبيب، تداركت أمه ما صنعت وخافت أن يقتل خبيب ابنها بهذا الموسى وقالت: ماذا صنعت،أدرك والله الرجل ثأره، بَعَثْت الْغُلامَ بِهَذِهِ الْحَدِيدَةِ فَيَقْتُلُهُ وَيَقُولُ: رَجُلٌ بِرَجُلٍ.

ثم أسرعت ماوية مهرولة فدخلت على خبيب فوجدته فى قيوده يمسك بالموسى والصبى جالسا عنده سليما ينظر إليه وخبيب يضحك إليه. فلما رآها خبيب قال ممازحا: لقد خَشِيَتْ أُمّك غَدرِى حَيْنَ بَعَثْت مَعَك بِحَدِيدَةٍ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ قَتْلِى.

فقالت المرأة له: يَا خُبَيْبُ إنّمَا أَمّنْتُك بِأَمَانِ اللّهِ، وَأَعْطَيْتُك بِإِلَهِك، وَلَمْ أُعْطِك لِتَقْتُلَ ابْنِى.

فَقَالَ خُبَيْبٌ مطمئنا لها: مَا كُنْت لأَقْتُلَهُ، وَمَا نَسْتَحِلّ فِى دِينِنَا الْغَدْرَ، ثم أعطاها الصبى سالما.

وصنع الله لخبيب كرامات كثيرة، فكان الله يرسل له الفاكهة من العنب فى غير أوانها فتكون بين يديه.. حتى إن مَاوِيّةَ وابنها قد رأوا ذلك بأعينهم، فراحت المرأة تخبر بذلك أهل مكة وتَقُولُ: وَاَللّهِ مَا رَأَيْت أَحَدًا خَيْرًا مِنْ خُبَيْب، وَاَللّهِ لَقَدْ اطّلَعْت عَلَيْهِ مِنْ خلل الْبَاب، وَإِنّهُ لَفِى الْحَدِيد مَا أَعْلَمُ فِى الأَرْض حَبّةَ عِنَب تُؤْكَلُ، وَإِنّ فِى يَدِهِ لَقِطْفَ عِنَب مِثْلَ رَأْسِ الرّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَمَا هُوَ إلاّ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللّه.

فاجتمعوا يشاهدون هذه الآية وأسلم منهم عدد كثير لذلك وامتلأوا بالإيمان يسرون ذلك فى قلوبهم.. وخشى المشركون من ذياع نبأ خبيب فى مكة وانجذاب قلوب الناس إليه فيخرج الأمر من أيديهم.

فخرجوا به إلى التنعيم ليقتلوه وقد اختاروا له إزهاق روحه بالصلب.. فرفعوا له صليبا من جذوع النخل واقتادوه وهو موثق بالحديد ليصلبوه عليه واجتمع حوله الشباب والعبيد والنساء والصبيان.

أسرعت الجموع لتشاهد نهاية هذا العابد الذليل لربه والبطل العظيم الذى سيكتب بنهايته بداية الإيمان فى قلوبهم.. فكان منهم صنف متعاطف معه يكتم دموعه ولوعته فى صدره خوفا من بطش المشركين، وصنف آخر خرجوا يملأهم الحقد والرغبة فى الدماء.

وطلب منهم خبيب أن يصلى ركعتين قبل أن يرفعوه على الصليب. فوافقوه على ذلك،لعله خلال صلاته يراجع نفسه ويكفر فيضن بحياته وينقذ نفسه من القتل.. وراح خبيب يصلى ويسجد فى تبتل وتذوب روحه فى لذة هذه العبادة التى يعشقها.. فأراد أن يطيل ويطيل، ولكنه تذكر جموع المشركين الذين حوله ينتظرون بفارغ الصبر أن ينهشوا لحم فريستهم.

فالتفت إليهم قائلا: والله لولا أن تحسبوا أن بى جزعا من الموت، لازددت صلاة.

فانطلقوا نحوه فى غيظ وحنق فحملوه وأثبتوه على الصليب ووثقوه فوقه.

ثم قالوا له:هل علمت أن زيدا صاحبك قتل وأنا ملحقوك به؟ وهم يريدون بذلك أن يسحقوا أعصابه ويزلزلوا ثباته الذى حيرهم. فنظر إلى وجوهم فى قوة أذهلتهم عن الشماتة ثم رد عليهم قائلا.

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعي
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم توجه خبيب يخاطب ربه وقد تذكر حبيبه النبى ﷺ فى هذه اللحظة التى أوشك أن يفارق فيها الدنيا فقال: اللّهُمّ إنّى لا أَرَى هنا إلاّ وَجْهَ العَدُوّ، اللّهُمّ إنّهُ لَيْسَ هَاهُنَا أَحَدٌ يُبَلّغُ رَسُولَك السّلامَ عَنّى، فَبَلّغْهُ أَنْتَ عَنّى السّلامَ.

فتغيظ المشركون من ذكره للنبى ﷺ وسألوه نفس السؤال الذى وجهوه لزيد من قبل، فقالوا له: أتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا فِى مَكَانِك ياخبيب وَأَنْتَ جَالِسٌ فِى بَيْتِك؟.

فقَالَ لهم: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى، معى عافيةِ الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة فى مكانه.

فتعجبوا منه ومضى أبو سفيان يضرب كفا بكف ويَقُولُ: لا، مَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَجُلٍ قَطّ أَشَدّ لَهُ حُبّا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ بِمُحَمّدٍ

ثم راحوا يَقُولُونَ له: ارْجِعْ يَا خُبَيْبُ عن دينك..

فقَالَ: لا أَرْجِعُ أَبَدًا.. فقالوا وقد يئسوا منه: أَمَا وَاللاّتِى وَالْعُزّى، لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَقْتُلَنّكَ..

فَقَالَ خبيب: إنّ قَتْلِى فِى اللّهِ لَقَلِيلٌ.. ثم دعا ربه بصوت مرتفع فقال.

اللّهُمّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا..

فارتعدوا جميعهم من دعوته حتى إنهم ألقوا بأنفسهم على الأرض خوفا من أن ينظروا فى وجهه عندها فتصيبهم دعوته.. حتى كان معاوية بن أبى سفيان يقول: كنت مع أبى وقتها فجعل يلقينى إلى الأرض خوفا من دعوة خبيب.. فكان منهم من يسد أذنيه حتى لا يسمعه، ومنهم من يتستر بالشجر ويهرب خوفا من دعوته.

وكان من بينهم شاب اسمه سعيد بن عامر لم يتمالك نفسه أن انفجر فـى البكاء وخر مغشـيا عليه،لأنـه كان يريد أن ينصـر خبيب ولكنه لا يستطيع.. فلم يكن يقوى سعيد بن عامر على تحمل هذا الموقف الذى لايغادر خياله بعد ذلك.. حتى بعد ما أسـلم بزمن فكانت تصيبه غشية – إغماءة طالما لازمته عمره كله كلما تذكر هذا المشـهد وهو يرى صلب خبيب مظلوما ويرى نفسه يقف متفرجا مكتوف الأيدى.

ثم هتف خبيب قائلا: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا، وامحمداه، السلام عليك يارسول الله.. السلام عليك يارسول الله.. السلام عليك يارسول الله.

فنهض المشركون ودَعَوْا أولادا مِنْ أَبْنَاءِ مَنْ قُتِلَ بِبَدْرٍ فَوَجَدُوهُمْ أَرْبَعِينَ غُلامًا، فَأَعْطَوْا كُلَّ غُلام منهم رُمْحًا، ثُمّ قَالُوا لهم: هَذَا الّذِى قَتَلَ آبَاءَكُمْ فاقتلوه، فَطَعَنُوهُ جميعا بِرِمَاحِهِمْ طعنا خفيفا، فَاضْطَرَبَ عَلَى الْخَشَبَةِ.. ثم أقبل رجل يدعى أَبَا سِرْوَعَةَ فَطَعَنَهُ بالحربة حَتّى أَخْرَجَهَا مِنْ ظَهْرِهِ، فَمَكَثَ خبيب بعض سَاعَةً يُوَحّدُ اللّهَ وَيَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ.ثم سكنت أنفاسه وانتقلت روحه.

فتعجبوا منه ومن شدة محبته للنبى ﷺ وذكره له وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حتى قال الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيق: لَوْ تَرَكَ ذِكْرَ مُحَمّدٍ عَلَى حَالٍ، لَكان تَرَكَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ.. مَا رَأَيْنَا قَطّ وَالِدًا يَجِد يتعشق بِوَلَدِهِ، مَا يَجِدُ أَصْحَابُ مُحَمّدٍ بِمُحَمّدٍ.

وكَانَ النبى ﷺ فى هذا الوقت جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ فى المدينة فَأَخَذَتْهُ غَمْيَةٌ كَمَا كَانَ يَأْخُذُهُ إذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ، فسمع الصحابة النبى ﷺ

وهو يَقُولُ: «وَعَلَيْهِ السّلامُ وَرَحْمَةُ اللّهِ»، فسألوه عن ذلك فقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُنِي مِنْ خُبَيْبٍ السّلامَ».. «وعليك السلام يا خبيب قتلته قريش».. «وعليك السلام ياخبيب»[1].

وانتقلت روح خبيب العابد العاشق إلى خالقها، تصحبها الرحمة وتظللها صلوات النبى وسلامه عليه.

ناديت محبوبى من بعد فنادانى ... والـــروح تصغـى بغـير آذان
يحجب الحب جدران ومحتبس ... فالروح تطلــق من قيد بإيمان
لأن أرواحنـــا فى الله مؤتلفة ... فالله يجمعنا كـــجند بميدان
رسائلنا فى الحب منه مقروءة ... كسارية بجبل أطلقت لفرسان
رسالة كتبت بالــدم والدمع ... وختمهـا الروح فى يد رحمن

(١) مغازى الواقدى ومغازى موسى بن عقبة وابن حجر فى شرحه على صحيح البخارى كما فى فتح البارى من رواية موسى بن عقبة والسيرة لابن هشام وصفة الصفوة للجوزى وسير أعلام النبلاء وأسد الغابة فى معرفة الصحابة.

الفهـــرس

دَار مَجْمَعُ الأنْوَار ٣
القصة الأولى:
الرُؤْيا المَنامِيَة التّى كانَت سَببا فى إسْلامِ خَالد بن سَعيد ﷺ ٧
القصة الثانية:
الصحابى الذى تغذى ثلاثين يوما على الماء فقط ١٣
القصة الثالثة:
أبُو بَكْر ﷺ يفدى بِلاَلا ﷺ من العذاب ١٩
القصة الرابعة:
عِمْران بن حُصَيْن ﷺ ابن وأبوه يختلفان، ثم يلتقيان فى أحضان الهداية ٢٤
القصة الخامسة:
الطفيل ﷺ ومعجزة قنديل النور ٢٦
القصة السادسة:
هجرة أبى أحمد الضرير ﷺ ورحلة الكفاح المقدس ٢٩
القصة السابعة:
أم شريك ﷺ ومعجزة الماء وإناء السمن المبارك ٣٢
القصة الثامنة:
واصهيباه ولا صهيب لى ٣٥
القصة التاسعة:
أم سلمة ﷺ من طريق البلاء إلى بيت النبوة ٣٨

القصة العاشرة:
ماذا فعل أنس ﷺ كي يرى النبى ويخدمه؟ وكيف نالته بركته؟ ٤٥
القصة الحادية عشرة:
عندما أراد ابن سلام ﷺ اختبار النبى ﷺ ٤٨
القصة الثانية عشرة:
الفتى على ﷺ صقر بنى هاشم ٥٠
القصة الثالثة عشرة:
دعثور ﷺ عندما أراد قتل النبى ﷺ وقصته مع السيف ٥٧
القصة الرابعة عشرة:
جبار بن سلمى ﷺ من قاطع طريق إلى صحبة النبى ﷺ ٦١
القصة الخامسة عشرة:
جابر ﷺ والبركة المحمدية فى الجمل والتمر والنمارق ٧٥
القصة السادسة عشرة:
جابر ﷺ يطعم جيشا كاملا بمعجزة نبوية ٨١
القصة السابعة عشرة:
حذيفة ﷺ ينام فى شملة النبى ﷺ ويصبح صاحب السر ٨٤
القصة الثامنة عشرة:
ثعلبة ﷺ شهيد التوبة ٨٩
القصة التاسعة عشرة:
ماذا فعل أبو الهيثم ﷺ عندما وجد النبى ﷺ فى بيته ٩٤
القصة العشرون:
خبيب ﷺ صحابى على الصليب ٩٨